جزيرة الذهب

الحرية
للنشر والتوزيع
٢٦١٥٦٤٦ـ٥٧٤٥٦٧٩
٠١٢/٣٨٧٧٩٢١

روايات أحلامي

● روايات أحلامى سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

تقـــدم...

«روايـــات أحلامـــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا

بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..

الحب حيث الورود والرياحين..

حيـث الحيـاة..

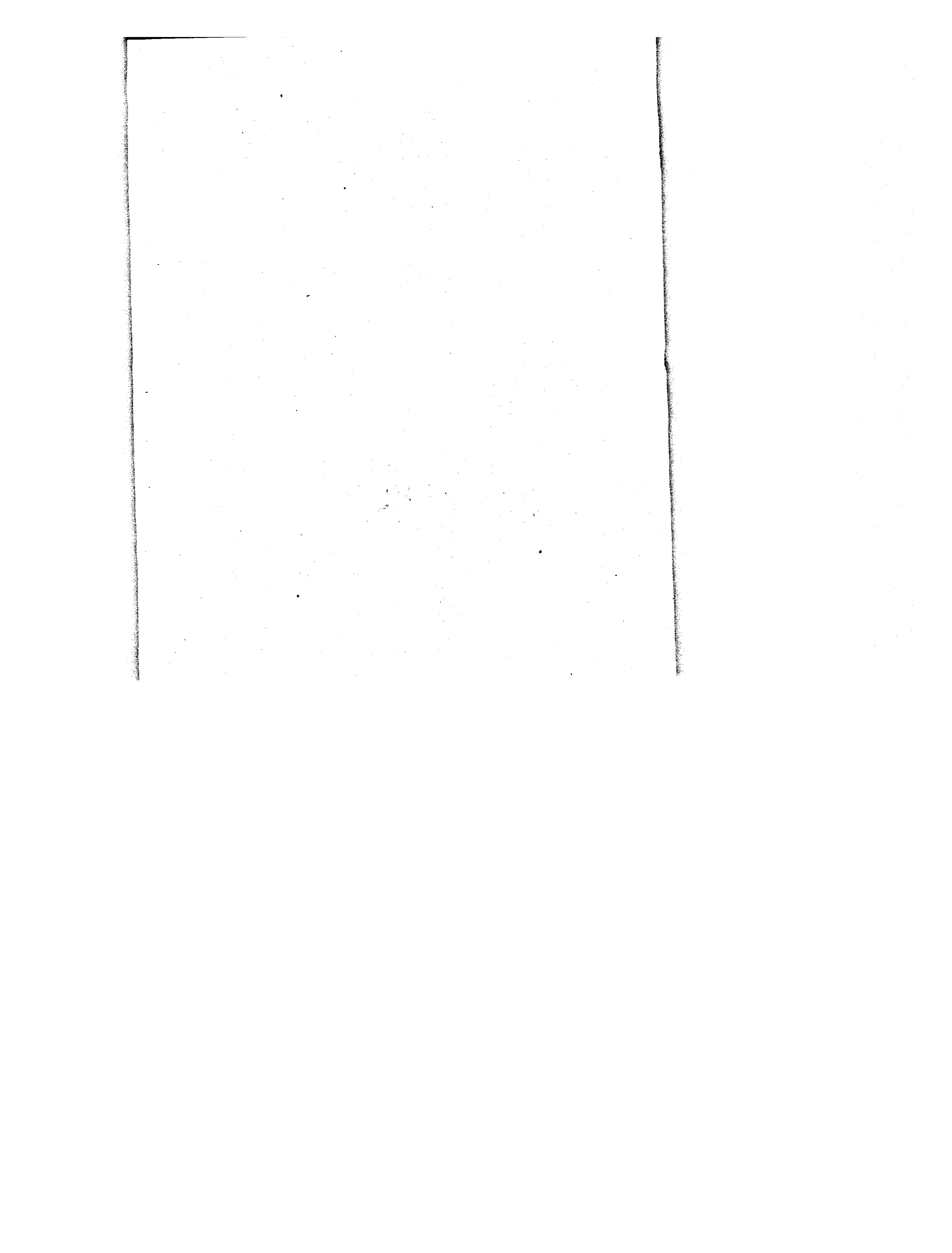
وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب

والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»

فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»

على أمواج الرومانسية.





وراء المجهول

- ارجوك المعذرة.. أتساءل فيما لو كنت ترغبين فى إسداء معروف لى...

وانفرجت شفتا باتريسيا بالمر بشهقة مخفية، واشتدت قبضتاها على قضيب سياج المركب إلى أن أصبحت أصابعها بيضاء.

وتابعت تحديقها فى المياة البنية الموحلة للنهر، وهى تأمل دون جدوى أن تكون الملاحظة هذة قد وجهت إلى شخص آخر، أى شخص كان. ولكن كانت تعلم فى نفس الوقت أن هذا غير ممكن. إذ لم يكن هناك أى أميركى غيرها على متن المركب، ما عدا الفتاة الشقراء التى صعدت إليه فى

سانتافية..

واخذ تفكيرها يعمل: لقد سافرت آلاف الكيلومترات حول العالم أسعى وراء الهدوء والسكينة، ولكن أهرب من طلبات كهذه.. ومع ذلك... ها هنا.. وحتى هنا...

وتابع الصوت مصراً

- إعذريني..

وستدارت باتريسيا دون ابتسام:

- نعم ؟

- كنت أتساءل...

وابتسمت الفتاة الاخرى وهى تبحث فى حقيبة الكتف التى تحملها، ثم تخرج مغلفاً وتتابع:

- هل يمكنك إيصال هذة الرسالة عنى إلى الفندق فى سانتياغو ديلاستيرو؟

فى الظاهر، بدا الطلب لا ضرر منة. ولكن اهتمام باتريسيا تحرك على كل الاحوال، وخاصة أن الراكبة الجديدة فى المركب ، والتى عرفت أسمها من سجل الركاب جولى

باترسون»، كانت قد بقيت متباعدة بالكاد تحدثها أو توجه لها أى إشارة حتى الان. وقالت لها:

- ولم لا توصلينها بنفسك؟ سنصل إلى سانتياغو ديلاستيرو بعد الغد؟ وأجابتها الفتاة باختصار:

لن أصل إلى هناك. سأنزل فى المحطة التالية، وسآخذ المركب العائد إلى سانتافية. فلقد اكتفيت من الارجنتين وغاباتها العظيمة والسفر فى النهر حتى أذنى.

وأشارت الفتاة إلى ما حولها وهى تضحك

- أعنى.. هل شاهدت مثل وسائل الراحة من الدرجة الاولى هذه فى هذا .. الشىء؟

- أجل.. وفي الواقع أنا أستخدم جزءا" من وسائل الراحة هذة.

وهزت جولى رأسها:

- حسنا" وأنا كذلك.. ولكن هذا لا يعنى أننى يجب أن أحبها.. فهذة الرحلة كانت كارثة بالنسبة لى منذ اليوم الاول.. ولم أكن أظن أنها ستكون هكذا، بدائية ورهيبة.. وسأغادر

المركب الان ، وأنا لا أزال قادرة.

ونظرت إليها باتريسيا بدهشة ممزوجة بالتسلية، وكان عليها أن تعترف أن الفتاة تبدو فى غير محيطها فى المركب البسيط هذا. أنها تتفصد بالبريق المرتفع المقام الذى يمكن للمال فقط أن يوفرة.. من الشعر المسرح بإسراف على شكل عرف الديك إلى الثياب الانيقة و«الصندال» الفخم. وكانت باتريسيا قد تساءلت أكثر من مرة، منذ شاهدتها، لماذا انجذبت مثل هذة الفتاة إلى مثل هذة الرحلة فى المقام الاول، بينما فى إمكانها أن تكون فى محيطها الملائم أكثر، فى مونت كرلو أو الريفيرا أو فى أى منتجع فخم آخر فى أوروبا.

لذا لم تندهش لمعرفتها بأن أربعه أيام من السفر فوق ماء موحلة، والاغتسال بها من «سطل» تعبئة من النهر بنفسها هو أمر كثير على جولى، هذا إذا لم تذكر تلك الفجوة المحاطة بستارة والتى تقوم مقام الحمام، والوجبات التى لا تتبدل من الرز والفاصوليا السوداء، المضاف إليها السمك، وأحيا" اللحم المقدد إذا وجدوة فى أحد المحطات..

وقالت بخفة:

- يبدو كلامك خطيرا".. هل لديك معلومات سرية بأن المركب سيغرق؟

- اوة.. لا. ربما أسأت تفسير الامر.. فما أعنية.. هو إننى لا أريد المضى فى الرحلة فى هذا النهر أكثر من هذا. وإلا فسوف أتأخر عن رحلة العودة إلى وطنى. لذا.. تكونى لطيفة معى... و

أخذت باتريسيا الرسالة، جاهدة أن تخفى ممانعتها. لقد كانت شريرة، ولكنها كانت سئمة من صنع المعروف مع الناس. وستنزل فى سانتياغو ديلاستيرو على كل الاحوال، ولن تنزعج من إيصال الرسالة، ولكن فى نفس الوقت كانت تحس بقلق لا تفسير له.

ونظرت إلى الكتابة على الرسالة قبل أن تضعها فى حقيبتها وكانت تقول « سينورخ. دى لاكروزا » ودون عنوان، ولاحتى أسم الفندق، مع إنها تشك فى أن يكون فى تلك البلدة أكثر من فندق واحد. وابتسمت جولى متوترة:

- لقد اتفقت على لقاء أصدقاء... وأعتقد من الافضل أن أترك لهم رسالة أفسر فيها سبب عدم قدومى.

هذا منتهى عدم الاحتشام، وخاصة أنها عرفت أن الاصدقاء ما هم سوى رجل واحد وليس مجموعة. ولكن ماذا دهاها حقا؛ ليس من شأنها. وسألتها:

- إذن.. ما على سوى ترك الرسالة فى قسم الاستعلامات ليأخذها صاحبها؟

وهزت الاخرى رأسها بلهفة:

- إذا كنت لا تمانعى.. ولن أقدر على شكرك كفاية.

وردت باتريسيا بتهذيب أكثر من حقيقتة:

- لا بأس.

وابتسمت جولى إبتسامة حارة مشرقة قبل أن تستدير وتذهب، وأكعاب حذائها تلتوى فوق سطح المركب غير المستوى.

وعادت باتريسيا لمراقبة المناظر التى تمر بها.. عندما بدأت هذة الرحلة، كان النهر يبدو عند بداية عريضا" كالبحر. ولكنة الان أصبح ضيقا"، وكأنة يطبق على المركب، والادغال الخضراء العالية تبدو قريبة، وكأنها تستطيع مد يدها

لتلمسها. مما يذكرها بأحد أسباب رحلتها هذه، سبب لم تعترف به بعد، حتى لنفسها.

لقد تركت لها ربة عملها السيدة دودج، بعد موتها، مبلغاً من المال لتصرفة على رحلة إلى الخارج مكافئة لها.. وقالت فى وصيتها:

«إلى عزيزتى باتريسيا بالمر.. الصديقة الفية.. حتى تتمكن من فرد جناحيها نحو بلاد بعيدة».

وقالت باتريسيا للمحامى السيد بكلند:

ـ لا أستطيع قبول المبلغ

فابتسم المحامى:

ـ قبولك لة لن يحرج أى أقارب فقراء للسيدة دودج يا سيدتى الشابة. فما تبقى من الاملاك سيذهب إلى ابن أخيها دايفد، وهو للاسف لم يتصل بعمتة منذ سنوات عديدة. وفى الواقع، لا يعرف أحد مكان وجودة، أو حتى إذا كان حياً. إنة مغامر متشبث برأية.. كما علمت.

ـ ولكن السيدة دودج تعتقد إنة لا يزال حياً، وهى مقتنعة

بهذا. وكانت تتحدث عنة كثيرا"، وتقول إنة سافر إلى أميركا الجنوبية بحثا" عن مناجم الذهب، وأقسم أن لا يعود قبل أي يصبح مليونيرا"..

ـ إنها مغامرة خطرة، وسببت لعمتة الحزن الكثير. وسوف ننشـر إعـلانات لة بالطبع، ولكن قـد يكون في أي مكان لا نعرفة.. فأميركا الجنوبية بلاد واسعة جدا".

وفي الايام التي تلت وجدت باتريسـيا نفسـها تفكر أكثر فأكثر بدايفد دودج المفقود. كانت السيدة دودج قد قالت لها مرارا":

ـ لقـد كـتب لي بضع مـرات من التـشـيلي والبـارغـواي والارجنتين. ولكنة لم يكتب شيئا" منذ سنتين.

وعرضت عليها صورة لة، كان طويلا" أشقر الشعر، إحدى ذراعية ملقاة على كتف عـمتة. ولم يكن في طلعتة الجـميلة شيء يدل على أن تحتها مغامر متطرف يتوق للانطلاق.

وابتسمت لفسـها وهي تفكر: وأنـا كذلك لا يبدو على حب المغـامـرة، وأنـا لا أزال في منزل والداي وقـد بلغت الثـانيـة والعشـرين؛ لقد حـولت عدة مـرات الخروج لتشق حـياتـها

بنفسها ولكن أمها كانت تقابل هذة المحاولات بالبكاء والعويل والاحتجاج على عقوقها وجحدان جميلها.

واتسعت ابتسامتها عندما تخيلت أمها وردة فعلها عندما عرفت بنيتها على القيام بهذة الرحلة.انها تنوى الان ، أن تستمر فى هذة الرحلة الى اخر مدى يصل الية المركب ، ثم تقرر هناك ماتفعل . وهى تحس الان بالروعة لكونها لوحدها ، بعيدة عن تسلط أى إنسان حتى لتمكنها من الوقوف على سطح المركب ومشاهدة عالم الادغال وهى تمر بها ببطء.

وهناك.. فى عمق هذة الاغال الخضراء، وعلى ضفة نهر مخفى قد يكون دايفد دودج ينقب عن الذهب .

وبما أنها الان هنا ، فباستطاعتها أن تعترف ولو لنفسها أن فكرة البحث عنة قد خطرت ببالها أكثر من مرة.. وقد يكون هذا حلما" روما نسيا" غبيا".. ولكنها حفرت آخر اسم مكان ذكرتة السيدة دودج فى ذهنها جيدا" . وإذا وجدت نفسها بالصدفة فى جوار مقاطعة سالتا الجبلية، فلا مانع لديها أن تقوم ببعض التحقيقات.

الكابتن كاستيا وبعض أفراد طاقمة يتحدثون بإنكليزية

مبعثرة، وحدقوا بعدم فهم ظاهر لدى طرحها عليهم بعض الاسئلة. ولكن هذا لم يجعلها تتراجع.. وصممت على أن توصل تلك الرسلة إلى الفندق فى نفس الوقت.

الحياة لها لم تكن ذات أحداث حتى الان. ولكن هذا كلة سيتغير... وهذة الرحلة إلى أواسط أدغال الارجنتين ستكون مجرد البداية لرحلات قادمة إلى أدغال أميركا الجنوبية... سالتا.. القابعة فى حضن الجبل.. ها أنا قادمة إليك.

* * *

اول نظرة لها على سانتياغو ديلاستيرو، بعد يومين من الابحار فوق النهر، جعلت تفاؤلها ينطفىء قليلا". كان هناك مرفأ خشبى، مبنى فوق عواميد خشبية، تنتشر حولة المنازل الهندية الطراز ذات السقف المصنوع من أغصان الشجر، بعضها مبنى داخل الماء. وخلف هذا بناء مرتفع كبير، نسبيا"، مسقوف بألواح حديدية، وإلى البعيد غابات المطر الاستوائى.

ووجدت باتريسيا نفسها تتساءل عما إذا كان هناك فندق حقا" فى هذا المكان. وقبل أن تنزل إلى الشاطىء. اتخذت الاحتياطات العادى فى وضع جواز سفرها ومالها وأشياءها

الثمينة فى حقيبتها، إضافة إلى كوب للشرب خاص بها وأدوات للطعام.

إيجاد الفندق لم يكن صعبا"، فهو بناء خشبى له لافتة انمحت بعض من أحرفها، معلقة فوق المدخل، وشرفة صغيرة.. وتسلقت باتريسيا درجات السلم بحذر، ودخلت.

المروحة الكبيرة كانت معلقة فى السقف تحرك الهواء باستمرار ولكن دون أن تفعل شيئا" لتخفيض الحرارة . ومسحت وجهها بمنديل وهى تنظر حولها. وبدا أنها تقف على بار لتقديم المشروب، ولكن المكان بدا مهجورا". وتقدمت نحو البار لتدق على خشبة اللماع... وساد صمت قصير، ثم ظهر رجل صغير الجسم، سمين، يرتدى قميصا" دون أكمام وبنطالا" واسعا"، من خلف ستارة، ثم وقف ليحدق بها بصمت وتساءل مندهش. فقالت له:

- يومك سعيد سنيور. هل تتكلم الانكليزية.

ونظرت إلى الكتيب الذى يرشد لبعض الكلمات باللاتينية، بعد أن هز الرجل رأسة بالنفى، وتابعت وهى تخرج الرسالة من حقيبتها،

ـ من فضلك.. هل السنيور دى لاكروزا موجود؟

وتعمق تعبير الجهل على وجة الرجل وهز رأسة بالنفى، ومسح يداة فى بنطالة قبل أن يمدة لياخذ الرسالة منها، ويتفحصها وكانها ستعضة.

وأحست بالراحة لا كروزا المجهول لا يعيش فى الفندق. وهزت كتفيها.. لقد فعلت كل ما طلبتة جولى باترسون منها. وبامكانها الان أن ترى ما تستطيعة من البلدة قبل إقلاع المركب من جديد. وبدا لها من غير المجدى القيام بأى تحقيق عن «سالتا» مع موظف الفندق، فملاحقة آثار دايفد دودج أمر سخيف على كل الاحوال.

ولاحظت أن الرجل يحدق بها ويشير إليها كمن يشرب شيئا". فترددت، ولادراكها أن هذا هو المقهى الوحيد ربما فى البلدة، فكرت، وهى تتلمس شفتيها باسانها، بأن من الافضل لها أن تتناول شراباً الان وقالت باللغة البرتغالية. حسب ما فهمت من الكتيب المعلم معها:

– ماء الصودا؟.. دون ثلج..

وهز الرجل كتفية، من الواضح إنه متعجب كيف أن

شخصاً يطلب مشروباً مثلج فى هذا الطقس الحار، ومد يدة إلى براد بداذى ليخرج لها زجاجة مياة غازية ويشيرإليها للجلوس على أحد الكراسى.

الكأس الذى طعمة سحرياً.. بارك اللة فى شراب الكولا، وارتشفت جرعة كبيرة من الكأس.

ونظرت إلى ساعتها، وقررت آن هناك ما يكفى من وقت لشرب زجاجة كولا ثانية، فضربت فوق الطاولة نفود. ولم تتلق الرد، فضربت مرة أخرى بصوت مرتفع أكثر. واهتزت الستارة ودخل منها رجلان هذه المرة. وكلاهما غريب. وخاطبها أحدهم:

ـ سنيوريتا.. سينيوريتا المركب ينتظرك.

ـ اوه يا إلهى..

ونزلت عن كرسيها ووضعت بضعة قطع نقود على الطاولة.. إما أنها فقدت الإحساس بالوقت أو أن ساعتها توقفت... وشكراً للسماء بأن الكابتين كاستيا قد أرسل شخصاً ليجدها، فآخر شى قد ترغب بة هو أن تبقى هنا إلى حين عودة المركب فى رحلة العودة.

وكان بانتظارها سيارة جيب قديمة خارج الفندق. وفتح لها الرجل الباب وساعدها على الصعود فى المقعد الامامى.. فى ظروف عادية كانت من المؤكد أن ترفض، ولكن الوقت مهم الان. على كل، أحست بالانزعاج عندما صعد الرجل الاخر، الطويل ذو الشنب الاسود، إلى جانبها ليحتجزها بينهما.

وعاد لها القلق بسرعة. فقالت:

- لقد غيرت رأيى...

ولكنها لم تكمل بعد أن دار محرك « الجيب» واندفع إلى الامام حتى كادت تقع من الزجاج الامامى. وفى الوقت الذى استعادت فية اتزانها من جديد، كانوا قد خرجوا من البلدة، فى الاتجاة الاخر من حيث يرسوا المركب . وأصابها الذعر. واستدارت إلى السائق محاولة الحديث بهدوء

- هناك خطأ" ما.. أجوك... إسمح لى بالنزول هنا. وابتسم السائق ليكشف عن عدة فجوات بين أسنانة، وأكد لها بسعادة وإنكليزية مكسرة:

- نحن نذهب إلى مركب.

- ولكن ليس هذا هو الطريق إلى المركب.

دون جدوى.. فقد استمر الجيب يهدر باتجاة الغابة الخضراء الكثيفة... ولو أرادات أن تصرخ، فهذا هو الوقت الملائم قبل أن يخرجوا تماما" من البلدة ، ولكنها لم تكن واثقة أبدا" أن عضلات حنجرتها سوف تطيعها.

وتنفست بعمق، محاولة التفكير بروية، ثم مدت يدها إلى حقيبتها، قائلة:

ـ مال.. لكما.. دعونى أذهب... هذا كل ما أملك.. صدقا"

ونظر الرجل إلى المال وهز راسة بحزن، ثم أعاد يدها الممدودة إلى الخلف.. وحاولت ثانية وبيأس:

ـ لاأملك أكثر... أنا لست غنية،

ولكن... إذا لم يكونا يريدان مالها.. فماذا يريدان؟ وأجفل ذهنها عن التفكير بالرد الواضح.

وأصبح الطريق الآن مجرد ممر ضيق، واستمرت سيارة الجيب فى الاندفاع فية. هابطة فى الحفر، وفوق أغصان الشجر الملقاة فوق الارض وهى تسير. وتاكد لباتريسيا أنها ستخرج من هذة المغامرة باحدى فقرات ظهرها مكسورة دون شك،

وكان السائق يصفر جذلا من خلال إحدى الفجوات بين أسنانة، وأرسل الصوت رعدة فى أطرافها. وحدق بها ثم قال:

- المركب.. قريبًا".

فردت علية بقنوط، ولم تعد تهتم أفهم أم لا:

- المركب اللعين فى الجهة المقابلة.

وتشعبت الطريق فجأة، وسارت بهم السيارة إلى عمق الغابة وكأنهم يدخلون فى نفق رطب أخضر. ودوت أصداء صرخات الحيوانات والطيور فوق صوت المحرك. وأخذت نباتات السرخس والنباتات الارضية تحف على جوانب الجيب.

وأحست باتريسيا بأنها تمر فى لحظات غير واقعية. وأن هذا لايمكن أن يكون يحصل لها. وسوف تستيقظ لتجد نفسها سالمة على أرجوحتها على متن المركب . وعندما ستفعل فأول رد فعل لها سيكون تمزيق رسالة جولى باترسون.

وبدا الجيب يبطىء سيرة، وشاهدت باتريسيا أمامها لمعان ماء، ربما ستحدث المعجزة الان. ربما هذة مجرد طريق ملتفة تصل إلى نفس الميناء، وسوف ترى المركب الان، تنتظرها.

ولكن زمن العجائب قد مضى دون رجعة. والرحلة انتهت بها عند منصة رسو مراكب مؤقت، حيث توقفت علية مركبة صغي·رة لها محرك خارجي. وصاح إلسائق بانتصار:

ـ مركب...

ـ ولكن هذا المركب الغلط.

ونظر الرجلان إلى بعضهما، وهزا برأسيهما بشفقة.. وتناولت باتريسيا حقيبتها ثانية:

ـ أنظر.. أديرا الجيب من حيث أتينا.. وأرجعانى إلى سانتياغو ديلاسيترو ولن أخبر أحداً عما حدث. وخذ المال، ولن تحدث مشاكل أقسم.. ولكن.. أرجوكما.. دعانى أذهب.

ورد عليها السائق بصوت حازم:

– مركب.. الآن.. سنيوريتا.

وسارت بينهما نحو المنصة، ولم يلمساها، أو يستخدما أى نوع من الضغط، وساورها إغراء فى أن تهرب.. ولكن إلى أين؟ فالناس كما تعرف.. دخلوا الغابات الأستوائية وأختفوا. وحتى الوقت الذى ستتمكن فيه من العودة إى حيث المركب،

لو أنها استطاعت، فسيكون الكابتن كاسيتا قد أبحر، فهو لا ينتظر أحداً. ولأول مرة فى حياتها فهمت لماذا يدفع الخطر الكبير ضحيته ليكون مستسلماً.

بإمكانها أن تقفز إلى النهر. ولكن تفكيرها بما سمعته عن سمك «البيراناه» المتوحش، والفظائع المرعبة التى يمكن أن تكون كامنة تحت هذه المياه البينية كان له التأثير المانع فى نفسها.

وصعدت إلى المركب وجلست حيث أشارا لها، وراقبتهما وهما يديران المحرك..

لو إنها ذاهبة إلى مصير أسوأ لها من الموت، فيبدو أنها ستذهب إليه بارتياح..

واشتعل المحرك، ثم استقر فى حركة منتظمة، وفك أحدهم الحبل المربوط إلى المنصة.

وهم ينطلقون صعوداً عكس تيار النهر، سمعت باتريسيا عن بعد، صوت قصف الرعد البطئ، وكأنه نذير الشؤم.



العاصفـــة

ثارت العاصفة بعد ساعة... ولم تلاحظ باتريسيا كثيراً كيف وصلت تلك العاصفة... فقد كانت الغيوم المشحونة تتجمع فوق الغابة، ولمعان البرق كان يتبعه انفجار رهيب دوت منه أرجاء الغابة. ولكنها أملت كالأطفال أن يصلوا إلى حيث وجهتهم قبل أن تضرب العاصفة بكل قواها.

وواجهوا كذلك مشاكل أخرى. فهذه العاصفة، كما هو واضح، الأخيرة بين سلسلة من العواصف فى الأيام الأخيرة مما جعل النهر يتصاعد. وكان على المركب أن يكافح بقوة ضد تيارقوى مندفع إضافة إلى تجنب أغصان الشجر



والصخور الخطرة التى كان يجرفها معه.

وتساءلت باتريسيا باستسلام للقضاء والقدر، ما إذا كانت هذه ستكون النهاية... فوق نهر إستوائى مجنون.. بين غرباء... لتبقى عائلتها، وإلى الأبد، تتساءل ما حدث لها.

والتصقت ملابسها بجسدها، وتدلت خصلات شعرها، كذنب الفأر، على وجهها. وأحست بخدر فى أعصابها، ولكنها لم تستطع التمييز ما إذا كان هذا بسبب البرد أم الخوف... وربما كان بسبب الأثنين معاً.

وفى لحظات اليأس هذه، استدارت مقدمة المركب نحو ضفة النهر، ورفرفت باتريسيا بعينيها عبر رموشها المبتلة، لترى منصة رسو، يبدو أنهم وصلوا. وكان بانتظارهم رجال ملثمون، وأدركت أنهم كانوا يتوقعون وصولهم وقد امتدت الأيدى لتساعدهم على النزول إلى البر، ولف أحدهم حولها معطف واقٍ من المطر غطاها من رأسها حتى قدميها.

وأخذوها من هناك بسرعة، ولم تدر إلى أين، كل ما أحسته أنها كانت مقادة، وتقريباً محمولة فوق بعض المرتفعات. وأحست بحجارة تحت قدميها وعشب، وتعثرت،

وانزلق الحذاء الخفيف فوق الأرض الملساء.

وسمعت صوتاً محترماً يقول بالأسبانية:

أنا آسف جداً عادة سنيوريتا.

هل يعتذر الخاطفون عادة لضحاياهم؟

وتوقف هطول المطر فجأة، مع أنها استطاعت أن تسمع استمراره فى مكان قريب. وسمعت أصوات نساء... يتحدثن الأسبانية. ورفع عنها الغطاء. ونظرت باتريسيا وهى مصابة بالدوار إلى وجه أسمر بنى تحمل الأبتسامة فوقه الدهشة والترحيب معاً. وقالت المرأة:

أرجوك... فينا كومغو... (تعالى معى) سنيوريتا.

ووجدت نفسها فى ممر مضاء بقناديل زيت. وسمعت صوت وقع حذائها فوق خشب مصقول. وأحست ببعض الأمل، فالأستقبال هذا جعلها تعتقد أنها ليست مخطوفة بل مجرد ضحية سوء فهم غبى ومحرج. ربما هؤلاء هم الأصدقاء الذين كانت تنوى جولى باترسون أن تلتقى بهم، وهذه الأم الحنونة، التى تحثها على السير بلطف، ما هى إلا مضيفتها.. وإذا كانت كذلك فأنها لا تبدو مستاءة من بروز ضيفة غير

التى تتوقع من بين الأمطار.

ووصلت إلى غرفة نوم ضخمة، أثاثها قاتم اللون وثقيل، ولكن ليس فى غير محل مع ما يحيط به. ونظرت إلى السرير المرتفع الكبى. ومفارشه ووسائده البيضاء كالثلج، ولكن عندما تقدمت بها المرأة إلى الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة النوم، وشاهدت ما ينتظرها هناك حتى أطلقت تنهيدة ارتياح واطمئنان.. فقد وجدت مغطساً مزخرفاً بشكل مدهش له قوائم تشبه المخالب، مملء بالماء الذى يتصاعد منه البخار بشكل مغرى.

وأغلقت المرأة ستاراً حول المغطس وأشارت إلى باتريسيا أن تخلع ملابسها. وترددت قليلاً قبل أن تفعل. فقد كانت تفضل خلوة أكثر من هذه وهى تخلع ملابسها. وأحست بالأمتنان لأدارة المرأة ظهرها لها، كذلك الأمتنان لتمكنها أخيراً من نزع الملابس المبتلة عن جسدها. فحتى ملابسها الداخلية كانت مثقلة بالمياه.

وأنزلت جسدها ببطء فى الماء الساخن وهى تتمتم بكلمات الأرتياح. ونظرت إليها المرأة وهى تغمز لها، ثم جمعت كل

الملابس المبتلة واختفت بها. هكذا أفضل.. ولكن ماذا سترتدى إلى أن تجف ثيابها؟ ألم يلاحظ بعد أى من الموجودين هنا أن ضيفتهم بالأكراه ليس معها حقائب؟

وقررت لنفسها: سوف أهتم بهذا عندما يحين الوقت.. وفى هذا الوقت سأتمتع بالراحة فى مياه الحمام الدافئة. وساعدها هذا على الراحة والأسترخاء.

وتنهدت ثم أغمضت عينيها، وأسندت رأسها على مؤخرة المغطس. وأخذت تراجع ما تستطيع أن تقوله من أعذار لمضيفيها عندما تراهم. وضاعت فى أفكارها حتى أنها لم تسمع باب الحمام يفتح...

يا إلهى.. هل حقاً كنت نصف غارقة...؟

وأرجعها صوت عميق لرجل إلى واقعها بسرعة وصدمة.. وللحظات جلست دون وعى مخدرة الأعصاب تنظر إلى الرجل، وقد شلها الرعب، وسجل دماغها المشوش صورة رجل طويل أسود الشعر، له وجه نحيل أسمر برونزى ترتسم فوقه الدهشة والذهول كما ترتسم على وجهها تماماً...

ثم، صحت، وانزلقت عائدة إلى تحت الماء وصدرت عنها

الكلمات وكأنها النحيب:

أخرج من هنا.

يا إلهى..

ولم تعد تبدو عليه علامات الدهشة الآن، بل غضب غير مصدق. ووضع رزمة كان يحملها فى يده أرضاً واستدار ليخرج مقفلاً الباب وراءه. وبقيت باتريسيا كما هى تحت الماء لعدة لحظات، إلى أن استقرت أنفاسها وهدأت دقات قلبها إلى ما يقارب الطبيعة، وزال عنها احمرار الخجل.

وخرجت ببطء من المغطس.. وتناولت المنشفة.

الرزمة على الأرض انفتحت من تلقاء نفسها لتكشف عن روب من الساتان الأرجوانى المائل إلى البنفسجى، ونفضت باتريسيا ثناياه وأخذت تتفرس به متجهمة، إنه ثوب متموج، مثير، وغالى الثمن. ومن الواضح قطعاً إنه لم يحضر لها شخصياً.. ولكن كان هذا هو الشئ الوحيد القادرة على وضعه على جسدها. عدا المنشفة المبتلة، ولذا...

وببطء وتردد، دست ذراعيها فى أكمامه وربطت رباط حول خصرها النحيل، ربطة مزدوجة. ولكن نظرة واحدة إلى المرآة

الكبيرة ذات الإطار النحاسي اللماع على الحائط جعلتها تتأكد من سوء ظنها. إنه كبير جداً عليها.. ورفعت الأكمام إلى فوق، وضمته أكثر إلى جسدها. فبدت وكأنها طفلة ترتدي ثياب الكبار.. واستدارت فلا فائدة من الوقوف هكذا لانتقاد مظهرها، وهزت كتفيها ثم دخلت غرفة النوم.

كان الرجل يقف قرب النافذة ينظر إلى الخارج عبر الزجاج المغشى بالمطر. ولكن، وكأنما غريزته أخبرته بتقدمها عارية القدمين إلى الغرفة، فاستدار ببطء لينظر إليها. وبللت باتريسيا شفتيها بلسانها:

من.. من أنت؟

أظن أن هذا يجب أن يكون سؤالي.. من أنت؟

إنكليزيته كانت ذات لكنة قوية ولكن جيدة. ولكنها وجدت لهجته غير مقبولة ولم تعجبها النظرة المتعجرفة التي أخذ يرمقها بها من رأسها حتى أخمص قدميها. ورفعت رأسها لتجيب:

إسمي باتريسيا بالمر.

وقال بنعومة:

هذا شئ أعرفه. سنيوريتا.

ورفع يده، وصدمت لمشاهدة جواز سفرها. فقالت بصوت مرتجف:

هل كنت تعبث بحقيبة يدى؟ كيف.. كيف تجرؤ على هذا؟

وهز كتفيه وكأنه يتجاهلها:

أوه.. بل أنا أجرؤ. وأظن أن من حقى معرفة هوية من يكون تحت سقف بيتى. والآن أود أن أعرف سبب تشريفك لى سنيوريتا.. ماذا تفعلين هنا بالضبط؟

وهل لك الجرأة أن تسأل.. بعد.. بعد أن خطفتنى عصابتك.

وأطبق حاجباه:

ماذا تقولين؟

لقد سمعتنى. كنت أتناول شراباً بارداً فى الفندق عندما.. دخلوا وقالوا لى أن المركب ينتظر. وظننت أنهم يعنون مركبى، فخرجت معهم. وعندما أدركت، ما حدث قلت لهم مرات ومرات إنهم مخطئون، ولكنهم لم يبالوا.

وهز رأسه:

أوه.. لا.. سنيوريتا، الخطأ خطاك، أؤكد لك.. والآن أين السنيوريتا باترسون؟

وعضت باتريسيا على شفتها:

إنها.. لن تأتي.. لقد عادت.. عادت إلى بلادها.

وظهر الغضب مخيفاً تحت قناع هادئ على وجهه. وشعرت بالغضب العنيف، فأحست بالخوف ولكنه قال بصوت مرح:

إذن... لقد أتيت عوضاً عنها.. هل تتوقعين أن أكون شاكراً؟

ولم يحاول أن يتحرك ولا أن يلمسها، ومع ذلك أحست فجأة بأنها تتعرى تحت نظرته الساحرة، وقالت بهدوء وبرود:

لا يمكنك أن تكون أكثر خطئاً. فأنا لم أجئ عوضاً عن أي شخص. لقد ذهبت إلى الفندق لأول رسالة الآنسة باترسون.. وأعتقد أن أسمك هو لاكروزا.

أنت مصيبة.. وأين هي الرسالة؟

لست أدري.. أعتقد أنها في الفندق.

كم هذا مؤلم. لن أعرف إذن كيف اختارت جولى الجميلة أن تصرفنى عنها.

أظن أنها وجدت الرحلة على المركب.. صعبة عليها. فأوضاع السفر على المركب.. بدائية.

من الواضح سنيوريتا، أنك مصنوعة من مادة أصلب منها. على عكس مظهرك. وربما أنت بحاجة لأن تكونى هكذا.

أنا واثقة أن هناك معنى عميق ملتوى وراء كلامك هذا. ولكننى متعبة جداً ومنزعجة جداً كى أفكر فيه الآن. وأنا آسفة لخيبة أملك من عدم وصول الأنسة باترسون.. ولكن...

بل أنا أكثر من خائب أمل. أشعر بالدمار لأن جميلتى جولى تمكنت من نسيانى بسرعة.. لقد تقابلنا السنة الماضية خلال عطلة قضيتها فى إسبانيا، و.. تطورت العلاقة بيننا.. وأنا واثق أننى لست بحاجة للخوض فى التفاصيل...

فاحمر وجه باتريسيا:

لا.. فهذا ليس من شأنى حقاً، سنيور...

خوليو... خوليو دى لاكروزا. وأود أن أقول أنك قد جعلت

الأمر شأنك عندما قررت التدخل.

حسناً سنيور دى لاكروزا، من الواضح أنها أعادت النظر فى أمر علاقتكما.

وهكذا اضطررت أنت أن تأتى مكانهـا... ولكن إذا كنت تظنين أن فتنتك هى بديل عن فتنتها سنيوريتا... فأنت مخطئة.

لا شئ.. ولا يمكن لشئ، أن يحضرها لمواجهة مثل هذه الإهانة. وحدقت به بذهول وقد جفت الدماء من وجهها.. أرادت أن تمد يدها لتخربش وجهه، لأن تجعل الدم يسيل من بشرته، أن تجعله يتألم.. ولكنها ردت عليه بأدب شجاع:

يبدو أنك واقع فى نوع من سوء الفهم سنيور. فليس هناك أية نية فى التبديل، ولن يحدث. وكما شرحت لك، لقد أتى بى رجالك إلى هنا خطئاً وضد إرادتى.

وهل قاومتهم..؟ رفستهم.. صرخت.. قاومت؟ لم ألاحظ أى دلائل مقاومة على أى منهما...

– لا.. ليس بالضبط. ولكننى حاولت أن أشرح لهما، أن أتفاهم معهما... أوه.. أنت لن تفهم... ولكن يجب أن تصدق بأن مجيئى إلى هنا لم يكن بارادتى. ورغبتى الوحيدة الان أن

أغادر، وأعود إلى سانتياغو ديلاستيرو.

- إنة هدف رائع ولكن تحقيقة صعب ، للاسف فليس هناك وسيلة للخروج من هنا سوى مركبى، وعبر الطريق التى أتيت منها. وطالما تستمر هذة الامطار فالنهر خطر على الملاحة فية.

وشهقت باتريسيا:

- ولكن إلى متى سيستمر هذا الوضع. يجب أن أعود، أن أرجع إلى المركب فى طريق العودة.

فهز خوليودى لاكروزا كتفية:

- قدر ما تستمر ياسنيوريتا، وإلى أن ينخفض مستوى النهر ثانية لن تذهبى إلى أى مكان. وفى هذة الاثناء، أنت ضيفتى المكرمة.

- ولكن ليس لدى ملابس حتى..

- لامشكلة.. لقد كنت أنتظر ضيفتى الاخرى.. لذا خذى حريتك باستخدام ما تحتاجين إلية مما حضرتة لها.

وقالت بغيظ:

- هذا كرم منك ولكن، كما قلت بنفسك، قياس ملابسنا ليست متناسبة، ولاشكلنا.

- مارغريتا، مدبرة منزلى، ستكون مسرور باصلاح أى قياس ترغبين بة. لقد أعطيتها تعليماتى.

وكم رغبت أن ترمى تعليماتة، ضيافتة، ملابس جولى باترسون بكاملها فى وجهة، وأن تصرخ بكل ارتفاع صوتها.. ولكنها بقيت صامتة. فهى لاتعلم كم ستبقى هنا، فلو أمضت أياما" ، فلا فارق أن تمضيها بالبنطلون القطنى والبلوزة التى وصلت بهما أو فى أى ثوب آخر وقالت لة بجفاء:

- شكرا" لك.

وهز رأسة باحترام:

- من دواعى سعادتى.. سنيوريتا. سنلتقى وقت العشاء.

وراقبت جسدة الفارع الطول وهو يخرج من غرفة النوم، ويقفل الباب خلفة. ثم انهارت ساقاها من تحتها وغرقت وسط الروب الساتان القرمزى فوق البساط القديم الذى يغطى الارض.

ومن بين أنفاسها، أخذ تراجع بألم وغضب كل كلمة سيئة أو شتيمة، سمعتها أو عرفتها أو تصورتها، وتطبقها بكل معانيها على خوليو دى لاكروزا. ثم أخيراً.. انفجرت بالبكاء.

ومع أن كلماتة آلمتها إلا أن مشاعرها العادلة أخبرتها على الاعتراف بأنة محق.. فهو يريد جولى باترسون، وكان يتوقع جولى باترسون.. وإذا كان يظن حقا" أنها قد جاءت عوضا" عنها.. وفى نفس النظرة للهدف الاساسى من الزيارة، لذا فلدية كل الحق لان يحس بالمظلمة.

ولكن لا.. لايمكن أن يظن أنها أتت إلى هنا عوضا" عن عشيقتة.. إنة فقط كان متكدرا".. ولامها لانها كانت موجودة.

وارتدت ما أصلحتة لها مارغريتا، بعد جهد، وخرجت تبحث عن غرفة العشاء. وكان خوليو بانتظارها فى قاعة الطعام كانت غرفة واطئة السقف، معتمة، والطاولة الطويلة المصقولة اللامعة، من الواضح أنها صممت لعائلة كبيرة وقال لها بأدب:

ـ هل تحبين تناول شراب؟

ـ أيمكن أن أحصل على عصير برتقال أرجوك؟

ـ بالطبع.

وصب لها كأس عصير من الابريق.. فارتشفت منه لتجده قويا جدا"، فلاحظ ذلك وقال:

ـ ربما أنت معتادة على العصير الاصطناعي.

الطعام، عندما وصل، كان لذيذا، حساء مبهر، مع الارز والخضار، تبعة بط مع صلصة يسيل لها اللعاب.. وتناولت باتريسيا الطعام بشراهة حتى أنها اضطرت لرفض حلوى الشوكولا، ولكنها تقبلت فنجانا" من القهوة. وخلال تناول القهوة لم تستطع تجنب الحديث وقال لها:

ـ من بعد إذنك سأدعوك باتروسا.. وأرجوك أن تناديني باسمي الاول.

ـ بإمكانك فعل ما تشاء بالطبع سنيور.

ـ وهل تفضلين الرسميات؟

ـ ما أفضلة أن أكون في مكان غير هذا.

ـ ألم يجبك منزلي؟ إن لة تاريخ مثير للاهتمام، فقد بناه أصلا" جدي الاكبر في عز زمن زراعة قصب السكر.. وكل

ثروتنا أساسها معمل التكرير الذى نملكة.

- بالطبع.. سانتياغو ديلاستيرو بناها المستوطنون الكبار عام ١٥٥٣ أساسا" من ثروتهم التى جمعوها من تجارة السكر ، كذلك سانتافية أول ميناء نهرى على هذا النهر، سلادو، وجامعتها ودار الاوبرا فيها.

- آة أجل.. لفترة ما كانت سانتافية أغنى مدينة تقريبا" فى أميركا الجنوبية.. وكانت غلطتنا أننا ظننا أن العالم الخارجى لن يفكر بمشاركتنا ثروات بلادنا.

وتابع توقف قصير:

- بينما انخفضت قيمة صناعة السكر، بدأ اهتمام عائلتى بالمزارع يخف، ووجهوا اهتمامهم لحقول أخرى.. والعديد من المزارع فى هذة المنطقة تركت لتموت وتعود إلى الغابة، ولكننى قررت أن لايحدث هذا لمزارعنا.

- هذا أمر مؤثر.. هل عشت هنا لمدة طويلة؟

- عام.. أو عامين. يناسبنى أن أقضى جزءا من حياتى هنا.. وأنت باتروسا، لماذا جئت إلى هنا؟

- أعتقد بإمكانك القول.. إننى جئت بحثا عن شخص.

- رجل؟

وأجفلت باتريسيا، فى الواقع كانت تعنى البحث عن نفسها، ولكن كان هناك حقيقة قليلة فيما قال. فردت علية:

- لا أظن أن هذا الامر يعنيك.

- لقد حصلت على الرد إذن.

- لست أرى سبب حاجتك للسؤال.

فرفع حاجبية:

- أنت مقيمة فى منزلى.. ألايسمح لى بقليل من الفضولية عنك؟

- بما أن معرفتنا ستكون قصيرة، فربما لايسمح لك.

وقال بصوت منخفض:

- أحيانا".. عندما تسوء العاصفة، نعلق هنا لاسابيع.

وضحك عندما لاحظ تعبير وجهها الخائف. فقالت:

- لقد أفسدت كل رحلتى.. وتظن الامر مضحك؟

- لست أضحك أما بالنسبة لعطلتك.. فسأحاول أن أعوض عليك بطريقة ما.

- أرجوك أن لاتزعج نفسك

- إذن.. في أميركا باتروسا.. أين تقيمين؟

- أقيم في الجنوب.. وإذا أصريت على مناداتي باسمي الاول فأنا معروفة باسم بات.

- بات؟ إنه أسم رجل.

- لا يهم.. فهذا هو إسمي.

- ومن هم.. هم؟

- عائلتي.. أصدقائي.. من أعمل لديهم.. وليس الجميع.

- وهل تعيشين في مدينة؟

- يا للسماء.. لا.. بل في بلدة صغيرة هادئة، ما ندعوة مركزا" تجاريا.

- وما نوع عملك؟

- أعتني بالناس.

- لابد أنة عمل مريح.. طالما استطعت تحمل مصاريف رحلة مثل هذه.

- إنها رحلة العمر. ومن الان وصاعدا" سألتزم عطلاتى فى أوروبا. فهناك لن أخطف أبدا".

- ألا زلت مصرة على أن هذا ما حدث؟

- أنا موجودة هنا أليس كذلك؟

- دون شك.. إذن.. أين التقيت بجولى؟ فى بلدتك؟

- لقد التقيتها هنا على ظهر المركب، لقد صعدت إلية فى سانتافية

- ولم تكونى قد قابلتيها من قبل؟ وكنتما مجرد زميلا رحلة.. أخبرينى هل وجدتما صعوبة فى ألتحدث معا"؟

- فى الواقع لم نتحدث كثيرا" معا". إنها جميلة، وأتمنى أن لاتكون قد أصبت بخيبة أمل...

- إذا كان سؤالك ما إذا كنت أحبها، فالجواب لا. هل يريح تفكيرك المعذب.

وأكملت شرب قهوتها، ودفعت كرسيها إلى الوراء، وقالت

بأدب:

ـ أحب أن أذهب إلى غـرفـتى الان، إذا كنت لاتمانـع. عمت مساء.

وأجابها بالاسبانية وهو ينفض رماد سيجارتة:

ـ تصبحين على خير باتروسا.

ـ شكرا" لك.

القنديل كان مضاءا" فى غرفة النوم، والاغطية مكشوفة حتى منتصف الفراش وإضافة إلى الستائر كانت الشبابيك الخشبية مقفلة. ووجدت أن النوم بعيد المنال، المطر قد توقف ولكن الهواء ساخن ، وساكن كأنه يهدد بعاصفة أخرى. وأبعدت عنها الاغطية ولفت نفسها بالملاءة القطنية لوحدها. وقالت لنفسها « إسترخى.. لا داعى للقلق».

وهى تتقبل تطمينها لنفسها.. فتح الباب ودخل خوليودى لاكروزا إلى الغرفة...

دوى الرعد

راقبتة باتريسيا وهو يتقدم ليجلس إلى حافة السرير وهى مشلولة.

ـ لقد أتيت بشراب ساخن قبل النوم. أليست هذة عادة أميركية يا باتروسا؟

ـ أجل.. أعنى.. لست أدرى. ولكننى لا أريد شرب شىء.. شكرا" لك سنيور.

ـ ولكنك لن تمانعى لو شربت أنا لوحدى؟

وبدت المتاعب تلوح منه، بحيث لن يمكنها التعامل معها. ثم وضع كـأسـة على الطاولة وبدا" يفك أزرار قـيـمـصـة،

وصاحت بصوت لم تعرفه هى بنفسها:

- ماذا تظن أنك تفعل؟

فأخذ يجيل نظرة فى جسدها الملفوف بملاءة قطنية وقال:

- أخلع ملابسى.. ألا تخلعين ملابسك عندما تنامين يا حلوتى؟

وأجبرت نفسها على ملاقاة نظرتة بثبات وبرود:

- الافضل أن تتابع خلع ملابسك فى غرفتك.

- هذة غرفتى.

- إذن كن لطيفا إذن واستدعى ما رغريتا واطلب منها تحضير سرير لى فى مكان آخر.

- لا يا عزيزتى لن أكون « لطيفا » أنت هنا فى مكانك الصحيح، وكلانا يعرف هذا. مع إننى ألاحظ أنك تجدين سعادة فى لعب دور البراءة

وضحك بخبث، ومرر أصابعه فوق الملاءة، التى تلامس بشرتها العارية.

- لقد كانت لعبة مسلية، بطريقة ما، ولكنني أطلب الآن

نوعاً آخر من التسلية منك.

وضربته على يده:

- كيف تجرؤ؟

فتنهد وتابع خلع ملابسه.

- قليل من الممانعة يزيدك فتنة. ولكن المزيد يجعلك مزعجة.

وستجدينى متسامحاً باتروسا.. ولكن لا تظنى أن التظاهر بالممانعة قد يجبرنى على رفع الثمن المستعد لأن أدفعه

وللحظات ظنت أنها تسمع دوى الرعد من جديد، ولكن هذا كان دقات قلبها وقد ملأت رأسها وتفكيرها وجعلت من المستحيل عليها أن تفكر، أو تتصرف...

ولكن يجب عليها هذا.. يجب.. لا يمكنها الهرب بالطبع.. ولكن ربما يمكنها أن تتحاور معه، أن تحاول إقناعه بالتعقل.

- سنيور.. أنت ترتكب خطئاً جسيماً. أنا لا.. أنا لست.. لقد التقيت بجولى باترسون صدفة على المركب. ووافقت أن

أوصل لها رسالة.. وهذا كل شئ. وأنا... أنا.. لم يكن لدى أية فكرة...

وتلاشى صوتها عندما شاهدت ضحكته الساخرة وقاطعها:

وبالصدفة سألتى عنى فى الفندق.. وبالصدفة جئت مع رجالى..؟ كلها سلسلة من الأخطاء. أليس كذلك؟

أجل.. اوه كيف يمكن أن أجعلك تصدق؟

لن تستطيعى.. وادعائك هذا يزعجنى ويتعبنى، وخاصة أن هناك طريقة أكثر لذة فى الوصول إلى التعب. يا عزيزتى.

وتخلص مما تبقى من ثيابه، فاستدارت باتريسيا إلى الجهة الأخرى مغمضة عينيها وهى تلعن الملاءة العالقة تحتها، وأحست بالفراش يغوص إلى الأسفل من جراء ثقل جسمه قربها. فقالت بخشونة:

إذا لمستنى سأصرخ.

ومن هنا ليسمعك.. أو يهتم بصراخك؟ أتمنى أن تكون لك رئتان قويتان يا عزيزتى، لأننى أنوى أن ألمس كل جزء من

جسدك.

فقالت بصوت متحطم:

– يا إلهى.. حتى أنك لا ترغب بى..

– وهل هذا يزعجك يا صغيرتى؟ أعدك بأننى ساكون أكثر رغبة بك مع كل لحظة تمر.

وخطف الملاءة من فوقها واحتواها بين ذراعيه. وصعقت للمسه،فتجربتها مع الرجال حتى الآن لم تتجاوز بضع قبل فى بعض المناسبات وكانت تتقبل هذا منهم بأدب ثم تصرفهم، ولكنها لم تشعر أبداً بغليان دمها، ولا بأى رد فعل قد يسبب لها أى نوع من الندم عندما يبتعدوا عنها كل ما تعرفه، هو ما تعلمته من دروس «البيولوجى» فى المدرسة والآن.. وفى بضع لحظات مدمرة.. ذلك العالم الآمن المختبئ عنها سيتدمر. أنها فى الفراش مع رجل، مع غريب، بين ذراعيه، يرسل فى جسدها رسائل، حتى جسدها البرئ، استطاع أن يفك رموزها.

اوه.. يا إلهى.. لا يمكن أن يكون هذا يحدث لها.. مستحيل! صوت بارد ثابت فى رأسها حذرها من أن

تقاومه... إنه أقوى بكثير منها، عضلات كتفيه وذراعيه وكأنها حبال الفولاذ المبرومة. ولو قاومته فقد يستجيب بعنف.. وسوف تتأذى.. عاطفياً على الأقل.. وإلى الأبد.

ولكن لا يمكن أن تتركه...

لو أغلقت تفكيرها.. مشاعرها.. عواطفها، كل شئ صنعت منه باتريسيا بالمر... فلن يحدث لها شئ. يمكنها أن تتوقف عن التفكير... عن الشعور... أن تتراجع إلى مكان خفى داخل عقلها الباطن... تنتظر إلى أن تنتهى العاصفة. ما سيجرى عمل جسدى محض لا علاقة لها فيه... ولن يؤثر ذلك عليها كانسانة!

وسمعته يهمس لها:

كم أنت حلوة.. كم أنت حلوة.. كم أنت ناعمة كم أنت مثل الماء فى الصحراء. ورفع لها رأسها ليقبلها فأحست بالرعدة، رعدة تتصاعد لا علاقة لها بالخوف، وكبحتها على الفور، وقد صدمها ضعفها. وعاد إلى الهمس:

أنت ترتجفين.

وهل هذا أمر غريب؟ أتوسل إليك أن تتركنى... أرجوك.

هل حقاً تجدينى كريهاً إلى هذا الحد غمضى عينيك إذن يا عزيزتى. وفكرى فقط بما ستكسبينه. فالتفكير بالمال قد يجعلك.. أكثر... قبولاً.. إذا لم يكن شئ آخر.

وأخذت تلوح برأسها بيأس لتبتعد عنه:

لست أريد مالك.. لا أريد شيئاً.

حقاً؟ كم أنت مثالية.. إدفعى لى أنت إذن يا باتروسا. إدفعى لى اللطف والقبول لقاء ضيافتى. وأعتقد أننى سأسعد كثيراً لاقبض منك.

واستلقت باتريسيا جامدة لا حياة فيها.. العذاب سينتهى عما قريب، ولابد أنه يعيش حياة صاخبة ولن تضطر إلى تحمل اكتشافاته لجسدها لمدة طويلة.

ولكن بمرور المعاناة، لحظة بعد أخرى أدركت كم كان تفاؤلها ساذجاً. إذا لم يكن خوايو دى لا كروزا مستعجلاً أبداً. لقد كان، كما أدركت والأنفاس تكاد تقف فى حنجرتها، مصمماً على إثارتها. ومما لا شك فيه، أن ممانعتها، ومحاولاتها التخلص منه، قد جرحت كبرياءه وعجرفته، وهو مصمم الآن أن يجعلها تتجاوب لما يريد.

ولكن، ما يلزمه، هو أكثر من التصميم، لأن جسدها تحجر من الصدمة وهى بين يديه. ولم تعد حقاً تدرى كم سيطول الوقت ولكن هذا بالتأكيد ما لم تكن جولى باترسون معتادة عليه منه.

وهمس لها:

أنت لست عاشقة متحمسة!

لابد أنه انزعج الآن لعدم تأثيره الفورى عليها، فقالت:

أنا لم أعدك بشئ.

لا، هذا صحيح. ولكننى وعدت نفسى. ورفعت كتفها.

- أنا آسفة إذا آلم كبرياءك أن تكتشف أنك لست مرغوباً من أى إمرأة تصادفها.

وقال لها بسخرية ضعيفة..

ولكننى لا أصادف الكثير.

وأخذتها الشفقة به، لقد كان ينتظراللقاء بجولى، التى تعرف الكثير عن الحياة.. ولكن بدلاً منها.. الحياة مليئة بخيبات الأمل.. وليس له الحق، بالمرة، أن يفترض بأنها قد

حلت مكان جولى. وعادت السخرية الكاملة إليه وهو يقول:

- على كل ياعزيزتى.. لكى تنامي والغضب يتلاشى عليك إرسال الدعوة إذا لم تكونى تنوين أن أقبلها.

أية دعوة؟ وانفرجت شفتاها بنكران غاضب، ولكنة أسكتها بشفتية، وكانت قبلتة أعمق هذة المرة وكأنة يحاول الانتقام منها، وانتشرت فيها رعدة خوف أخرى ، لم تكن تعرف أن رجلا يمكن أن يكون بهذة النعومة، ويحرقها هكذا حتى أعماق روحها.

وعلى الرغم من نفسها أحست بالمقاومة والغضب يتلاشيان بالتدريج.. وفى مكانهما .. ماذا؟

شىء لم تستطع تمييزة، أو أنها لم تختبرة من قبل ، فضول؟ إثارة؟ ربما .. أوشىء أعمق من هذا .. وقطعا أخطر بكثير. ولم تكن تعرفة، وهذا ما أخافها.

ورفع خوليو رأسة:

- حبيبتى.. ألست أسعدك.. ولو قليلا؟

وكان هذا آخر شىء تتوقع سماعة منة.. لقد كان المتهجم

المتعجرف الذى يجب أن تكرهة، ولكن...

- لست.. أد.. أدرى

- تلفظى باسمى.

وأحسست بجفاف حلقها. لاتريد أن تلفظ إسمة، سيكون ذلك أمر حميم جدا"... شخصى. وسيكون بطريقة ما نوعا" من الإستسلام. وحثها مرة أخرى بصوت أجش.

- تلفظى باسمى، وقبلينى.. ولو لمرة واحدة.

وعلى الرغم من كل تحفظها، وعلمها أن عليها أن ترفض، سمعت نفسها تهمس «خوليو» وارتفعت يداها إلى كتفية وجذبتة إليها . وما أن تلامست شفتاهما حتى... ضاعت. وجرت فجأة أنهار صغيرة من النار فى عروقها، وجنت نبضاتها. الرفض... المرارة... حتى الخوف.. انسدل عليها كلها ستار من العتمة، ولم تكن مجرد قبلة... بل كانت حمى.. هذيان... جنون.

ولفترة طويلة بقيت مستلقية دون تفكير أو وعى، وعقلها المصاب بالدوار يحاول وعى ما حدث ولكن بعودة الوعى، جلب معة الاحساس بالعار والخجل، وعدم تصديق رهيب

ومرعب.

أوة يا إلهى.. ماذا فعلت؟ ماذا سمحت له أن يفعل؟

وحاولت أن تبتعد عنه. ولكن ذراعه الملقاة على خصرها شدتها إلى الفراش. وتمتم بشىء أجش غير مفهوم ، وبعد لحظات علمت من أنفاسه المنتظمة أنه نام..

واستلقت متصلبة، وهى تكرة ارتياحة الكامل... والطريقة التى تتلامس أنفاسة الحارة مع كتفها... وكأنهما كانا ينامان معا طوال حياتهما أقل ما كان عليه أن يفعله، هو أن يسمح لها بأن تزحف بجسدها متبعدة، لتشفى جروح روحها وحيدة.

ولكن الالم الذى سببه لها ، ولو كان حقيقا، كان آخر شىء يقلقها فما هو أكثر إثارة للاضطراب كان حقيقة استسلامها له... لماذا لم تتهرب منه.. لماذا لم تبق باردة معه.. كما كانت تنوى؟

لن تسامح نفسها على ما فعلت. ولكن ما حدث حدث، وانتهى الامر وعليها الان أن تتابع حياتها الحقيقة، وكان ما حدث هو مجرد كابوس، مرعب وقت حدوثة، ولكن قابل

للنسيان.

وأدارت رأسها بحذر نحوة.. هذا الغريب الذى عرفها كما لم يعرفها أى مخلوق من قبل.. والذى جعلها تختبر أشياء لم تكن تدرى أنها موجودة فيها.. إنه جذاب.. ولكن ذلك لايشكل عذر لأى شىء وابتسم، وكإنما يحلم حلما لذيذا. فأحست بالرجفة، ومدت يدها لتطفىء المصباح.

واستفاقت على صوت إمرأة تناديها « سنيوريتا » وفتحت عينيها لتجد مارغريتا تهزها من كتفها وللحظة حدقت بها، وقد تملكها الاستغراب تماما. ثم عادت إلى ذاكرتها ما حدث ليلة أمس بكل التفاصيل. فاستدارت على بطنها لتدفن رأسها فى الوسادة.. فلمست مارغريتا كتفها بحنان وقالت بالاسبانية:

ـ السنيوريتا تعبة...

وأشارت إلى فنجان قهوة وضعته لها على الطاولة، إنها لاتريد القهوة، لاتريد أى شىء من ضيافة خوليودى لاكروزا الكريهة، فليعطها فقط ملابسها ويؤمن لها رحلة العودة إلى سانتياغو ديلاستيرو.

ونظرت حولها فلم تجد دليل اللغة الاسبانية قريبا. فاعتمدت على ذاكرتها لتقول:

- فا فاقور.. حضرى لى البانيو.

وهزت مارغريتا رأسها وكأنها أحست بحرج باتريسيا منها. فأحضرت لها الروب وفتحته لها لترتدية.

- لا.. أتركية هنا. أرجوك.

واستلقت تنظر إلى السقف ومارغريتا تحضر الحمام. لم تحس بخوليو وهو يغادر الفراش وبامكانها الان أن تتجنب الاذلال لدى رؤيته إلى جانبها وتغسل آثار الليل عن جسدها وتمنت أن تتمكن من غسل تلك الاثار من تفكيرها بسهولة.

لو أننى قاومت.. لكان تغلب على بقوته فى النهاية.. ولكن كان هذا ترك لى على الاقل شيئا من الكرامة. ولكن الان... وتخوف ذهبها من التفكير بالواقع.. لقد أصبحت شخصا" آخر.. غريبة تحت رحمة رغباتها الخاصة، أنها تزدرى نفسها تماما.

عندما عادت مارغريتا لتقول لها أن الحمام جاهز، إستجابت وهى تتذمر وتطالب بعودة ملابسها الخاصة. وهزت

رأسها بيأس عندما توجهت المرأة المسنة إلى الخزانة، وبدأت تعرض عليها مجموعة من الملابس المعلقة هناك.

وأحست بالسعادة فى دفء الحمام، وبدات تشعر بالانتعاش ، وأخذت تستمع إلى مارغريتا التى كانت تتحرك فى غرفة النوم، تتحدث إلى شخص آخر، ربما إحدى الخدمات.

ولم تكن تدرى أو تفهم معنى للحديث، وتساءلت متجهمة كم من الفتيات الاخريات خدمت مارغريتا فى غرفة نوم سيدها ياترى؟

عندما عادت إلى غرفة النوم، تلف لمنشفة حولها من تحت الابطين إلى الكاحل كانت الغرفة فارغة، والسرير قد أعيد ترتيبة بشراشف ومفارش بيضاء جديدة، ولكنها لم تجد أثراً للملابس التى كانت ترتديها أو لملابس جديدة لترتديها، وربما ستتصل هذة بعد لحظات.

هذا، إذا لم يكن خوليودى لاكروزا قد أصدر تعليمات معاكسة، على نية أن يبقيها سجية فى غرفة نومة، عارية ولكنها لم تصدق هذا فعلاً.

وأخذت تنظر حولها إلى الغرفة، وإلى بنيانها، وتتساءل كيف إستطاع من بناها إيصال مواد البناء إلى هذا المكان المنعزل النائى من هذة المجاهل... هذا إذا لم نذكر اليد العاملة؛

ولكن.. أين هو خوليودى لاكروزا الان؟

ربما يكون مشغلا بعمل ما... مما يبقية عادة مشغولا فى هذة البقعة النائية من الغابات... ربما مشغول بتجارة الرقيق الابيض مثلا...

وفى نفس الوقت تساءلت عما يفعلة هنا... رجل ذكى مثقف، يعيش فى وسط اللامكان فى وسط كل هذة الفخامة المتلاشية.

ولكنها لم تفكر كثيرا".. فهى مرتاحة جدا" وتحس بالخدر، حتى أنها لا ترغب سوى بالنوم. وتنهدت، ثم اندست بين أغطية السرير وغطت فى نوم عميق.

واستعادت وعيها على رائحة حادة... رائحة سجائر . وعرفت لمن هى الرائحة وهى تفتح عينيها على مضض.

وكان خوليودى لاكروزا يجلس على بضع أقدام من

السرير فى مقعد ذو مسند مرتفع، وقد وضع ساقة التى يغطيها حذاء مرتفع فوق الاخرى، وقميصة القطنى الاسود مفتوح حتى الخصر ليكشف المزيد من جسدة البرونزى.

وقال بهدوء وبشكل رسمى وبالاسبانية:

- صباح الخير سنيوريتا.

ولم يكن فى صوتة أى أثر للمرح ولاعلى وجهة ولالمحة انتصار حتى، وبالتاكيد لا.. رغبة وعادليتكلم بالانكليزية:

- أرجو ان تكونى طيبة معى مرة أخرى وتخبرينى بالضبط من أنت، وكيف أتيت إلى هنا.

وابتلعت باتريسيا ريقها بصعوبة.. ما كل هذا؟ هل هو نوع من العذاب اختارة لها؟ وردت علية بخشونة:

- وهل من فائدة فى إخبارك؟ فأنت لن تصدقنى.

وتحركت يده التى تحمل السيجاره بنزق، قال غاضباً:

- لايهم... هل تشبعين فضولى.. (أرجوك)؟

وعضت على شفتها:

- إسمى باتريسيا بالمر. وفى الثانية والعشرين من عمرى،

وأنا سائحة. كنت أسافر صعودا" فى النهر على متن مركب بخارى، عندما التقيت بفتاه تدعى جولى باترسون، وطلبت منى إيصال رسالة موجهة لك إلى الفندق فى ميناء سانتياغو ديلاستيرو... والباقى تعرفة... فلماذا تريدنى تكرار هذا مرات ومرات فى وقت لاتصدق كلمة منه؟

ـ لان روايتك سينيوريتا أغفلت تفصيلا مهما..

وحدقت بة باستغراب:

ـ لاأظن.. لقد قلت لك بالضبط...

وهزخوليودى لاكروزا رأسه.

ـ ما قصرت فى قولة، هو إنك حتى ليلة أمس، كنت «عذراء» وكان هذا آخر شيء تتوقع سماعة منه.. واحترق وجهها بالدم الذى تصاعد حارا إلية.

ـ وهل يفترض هذا أن يشكل أى فارق... أويغير الامور؟ فهو لم يبدو إنة...

ورمى عقب السيجاره وسحقها بكعب حذاءة.

ـ بالطبع يشكل فارقا، أيتها الغبية.. إنة يعنى..

وليساعدنى اللة.. إننى كنت مخطئا بشكل ظالم ومجرم بحقك.. كان يجب أن تقولى...

- وكان هذا سيوقفك عند حدك؟

وجاء دوره ليحمر خجلا:

- ربما...

وأطرق ثم أكمل بصوت منخفض.

- يا إلهى.. وربما لا.. كيف لى أن أعرف؟ ليلة أمس كان جل اهتمامى منصب على حاجتى لقد عمى نظرى عن ملاحظة.. قلة خبرتك الواضحة.

- ولكن ما كان عليك أن تذكرنى بما حدث فلماذا هذا الاهتمام الان؟

وتقلص فكة.

- مارغريتا... الفراش.. كان علية آثار..

وانتشر احمرار وجهها فى كل جسدها وصاحت:

- اوة... لم ألاحظ هذا... ولكننى لازلت لاأفهم سبب...

- من الطبيعى أن لاتتردد مارغريتا فى مواجهتى بدليل

طهارتك... أو أن تقدمها لي.

فقالت بمرارة:

- هذه شجاعة منها.. ولكن لماذا تحتاج لفعل هذا؟

- لانها، وكما ادعت على حق، تؤمن أنني قد سلبت شرفك وأنني أفسدتك فلم تعودي لائقة لليلة الزفاف.

- أو ليست هذة نظرة قديمة الطراز؟

- ليس بالنسبة لمارغريتا.. فعائلتها خدمت عائلتي لمدة طويلة وهي تعلم أنني بامتلاكي لك بهذة الطريقة قد سببت بتلطيخ شرف عائلة دي لاكروزا بامتلاكي لك بهذة الطريقة قد سببت بتلطيخ شرف عائلة دي لاكروزا ، ولن أستطيع الانكار،،، وعندما يهبص مستوى النهر سوف يحضر كاهن من الارسالية في «سالتا» ليزوجنا.

عقد قران

ساد صمت طويل ثقيل.. وصادم.

وفكرت باتريسيا.. لابد أننى أحلم.. لامفر من هذا.. كل ما حدث لى مجرد كابوس. وسأستيقظ لاجد أن كل شىء انتهى. وكل ما على هو أن أستفيق...

وقالت بصوت مرتفع وبأدب شديد:

ـ هل لك أن تكرر هذا.. أرجوك؟

ورد عليها بنفاذ صبر:

ـ لقد سمعتنى جيدا" سنيوريتا. لقد أرسلت بطلب الكاهن

ليعقد قراننا.

واستوت فى جلستها وهى تشد المنشفة على جسدها ، وصاحت بجنون:

- ولكن لايمكنك.. لن تستطيع.. هذا مستحيل،

- أنا لن أكذب أبدا" حول أمر جدى كهذا،

- إذن أنت مجنون.. فاقد العقل تماما". وهذا ليس بمنزل.. إنة مصح للمجانين.. فالناس لايتزوجون بعضهم.. هكذا...

- ربما ليس فى عالمك..

- نحن فى التسعينات من القرن العشرين.. أليس هذا هو الزمان هنا إيضا"؟ أم أننا فى نوع من الزمان المشدود إلى الوراء يعيدنا إلى القرن الماضى؟

- مثل هذة المبادىء قد تبدو غريبة عليك سنيوريتا.. ولكنها مبادىء حقيقة أساسية لى... لقد أغويتك ويجب أن أصلح غلطتى بالطريقة الوحيدة الممكنة.

- دعنى أفهم هذا جيدا .. لو كنت فعلا ذلك النوع من النساء الذى ظننتنى.. جولى باترسون أخرى... وأننى هنا

لمجرد التسلية.. أكنت تتركنى وشأنى؟

– آخر الامر.. بعد أن انتهى منك.

ـ ولكن لانك اكتشفت أنك أول رجل فى حياتى، فأنت تعرض على الزواج بسبب إحساس بالشهامة، أليس كذلك؟... حسنا.. لقد تأخرت باحساسك بالشهامة ياسنيور.. لقد تأخرت أربعا" وعشرين ساعة... ولن أتزوجك ولو زحفت على ركبتيك،

فقال ببرود:

ـ وهذا أمر لن يحدث.

ـ بالطبع.. لذا دعنا ننسى هذا النقاش السخيف إلى الابد.

ـ ها نحن اتفقنا... بالتاكيد ليس هناك المزيد من النقاش.

حاولت أن تجد وسيلة أخرى للخلاص:

ـ إذا كنت قلقا أننى قد أسبب لك فضيحة رسمية حول ما حدث... وإن أتهمك باغتصابى.. أقسم لك أننى لن أفعل... أريد فقط أن أضع كل هذا وراء ظهرى، وأنا متاكدة أنك ستفعل مثلى... فلماذا لاتعطينى ثيابى وتتركنى أذهب..

وسنتظاهر معا" أن ليلة أمس لم تحدث...؟

وهز رأسة:

ـ هذا .. للاسف.. أمر مستحيل.

ـ ولكن لالزوم لكل الامر، إذا كنا كلانا مواقفان.. حتى أننى سأكتب لك إقرارا ... إذارغبت...

وأخشوشنت لهجة دلالة نفاذ صبرة:

ـ أنت لازلت غير فاهمة.. ليلة أمس أخبرتك الحقيقة.. ولكنك لم تصدقينى أيضا ... ليس هناك وسيلة للخروج من هنا سنيوريتا .. فالنهر مرتفع وخطر.... والمخاطرة كبيرة.

ـ ولكن إلى متى؟

ـ من يعلم؟ فمن المتوقع إستمرار العاصفة لعدة أيام...

ـ ولايبدو عليك الاهتمام.

ـ وهذا جزء من الحياة اليومية هنا، ونحن قانعون ، فلماذا الغضب من شىء لايمكن تغييرة؟

ـ حسنا.. لاأستطيع أن أكون غير مكترثة حول بقائى محتجزة فى الادغال مع.. مغتصب...

وقال لها بغضب:

- سوف تتعلمين أن تتكلمى معى باحترام أكثر.

- الافضل أن لاأتكلم معك بالمرة.

- وتابع ببرود:

- ثم.. لم يكن هناك اغتصاب... وليست ذاكرتك ضعيفة لهذة الدرجة باتروسا.

وعضت على شفتها:

- حسن جدا".. سأتقبل أننى عالقة هنا مؤقتا.. ولكن ما أن يصبح النهر صالحا للملاحة، فسأذهب.. وأنا أرفض أن أجبر على الزواج من غريب كامل بسبب شرف العائلة.. البائد الطراز فهذة حياتى..

- ربما لن تكون مجرد حياتك فقط.. هل فكرت بهذا؟

- ماذا تعنى؟

- وهل أنا مضطر حقا لان أشرح لك؟ يمكن أن تكونى حامل. أيتها الغبية.

وبدا لها أن الانفاس قد انقطعت عن كامل جسدها فى

شهقة مرعبة واحدة. واستطاعت أن تطلق كلمة واحدة:

ـ لا؛...

ـ الامر ممكن جدا، أؤكد لك... ولفتاة تفخر أن تكون جزءا من العالم العصرى.. أنت ساذجة لابعد الحدود

ـ ولكننى لن أعتبر هذا أمر ممكنا، ولو حدث هذا، فهو لايعنى بالضرورة أن على أن أتزوجك

ـ وهل تظنين أننى سأتركك بكل بساطة؟ بعد أن أعرف أنك تحملتى طفلى؟ أو أن أسمح لابنى أن يربى في حضن غريب فى بلد غريبة؟

ـ ابنك؟ ماذا تعنى بحق الجحيم.. ابنك ؟ ربما تكون فتاة.. مع أننى لا أظن أن ابنتك قد ترضى غرورك المنتفخ بنفسك.

وتوقفت عن الكلام فجأة بعد أن لاحظت المسار الذى انقلب إليه الحديث وصاحت منتحبة:

ـ اوه... يالهى لاأصدق ما يحدث.. لابد أننى مجنونة بقدر ما أنت مجنون أننى أتناقش معك حول جنس طفل لاوجود له بعد.

- إلى أن ينخفض مستوى النهر سنكون قد عرفنا بوجود طفلنا أم لاعلى التاكيد.

وأحست بالرعدة تعتمر كل جوارحها.. طفلنا.. ياإلهى منذ ثلاثة أيام لم أكن أعرف بوجود هذا الرجل، والان، ربما نكون قد تسببنا بتكوين كائن بشرى آخر.. فيما بيننا.

لابد أن يكون هناك وسيلة أخرى غير النهر للخروج من هنا لقد قرأت مرة أن هذة المجاهل لها اسم آخر، الجحيم الاخضر، ولكن هناك أنواع أخرى من الجحيم قد تكون أسوأ منها، وهى مستعدة أن تخاطر بشق طريقها عبر الغابات بسكين صغيرة بدل الاستلام لما يقترحة عليها.

كل ماتحتاجة، هو أربعة دوالت فوقها محرك ، وعندها يمكن لها أن تهرب ولوتبعت مجرى النهر، فعاجلا أم آجلاسوف تصل إلى سانتياغو ديلاستيرو.

ولكن كذلك سيفعل خوليودى لاكروزا فى اللحاق بها.. فقد أوضح نواياة ومن المستحيل أن يتركها تذهب... وسانتياغو ديلاستيرو ستكون أول مكان يبحث فية عنها.

لقد ذكر أن هناك إرسالية فى «سالتا» وهذا يعنى تدين

منتظم واستقرار، ورموز أخلاقية ثابتة.. فإذا ذهبت إلى هناك وطلبت الحماية والملاذ، فلا يمكن أن يرفضوا طلبها.

ولكن هذا مجرد غباء.. وعليها أن تكون متكتمة ، وأن تتظاهر بالقبول ، وفى نفس الوقت تكون مستعدة لاى إمكانية في الهرب.

وقطع صوته حبل تفكيرها:

ـ لم أنت صامتة هكذا؟

ـ كن شاكرا" أننى لم أصب بالهستيريا.

نعومة تدريجية معه هى أفضل تصرف تقوم به، على كل قد يرضى هذا غرورة الرجولى وقد يدفعة إلى التحخفيف من حذرة.

ولكن.. كم ليلة مثل الليلة السابقة، قد تضطر للتحمل؟ وأحست بمعدتها تتقلص..

وظهر على وجهة الالم والتجهم فجأة، فقال:

ـ لن تكونى الوحيدة التى ستقاسى.. لقد قررت منذ زمن طويل أن لا مكان للزواج فى حياتى

ـ ولماذا لاتترك الامر هكذا إذن؟ فلست بحاجة لان تفعل

شيئا... وأعدك.. أرجعني إلى حيث كنت وسأكون سعيدة بأن أختفي...

- لقد أوضحت لك.. هذا أمر مستحيل ؛ وضعنا هو مثل الانحراف الارضى.. صخرة واحدة تنزلق من مكانها، ويبدأ الانحراف ويخرج عن السيطرة.. وشكرا لمارغريتا، إنحرافنا توقف لحظة بدئة.

- وهل لخادمة كل هذا النفوذ عليك؟

- أجل.. في وقت هي جزء من حياتي منذ ولادتي. لقد عينتها والدتي مربية لي. وعندما لم أعد بحاجة إلى مربية أصبحت جاسوسة أمي على ويمكن أن تقول لها كل شيء،

وبدت الدهشة عليها:

- وهل أمك لازالت حية؟

- ولم لا؟

- لان هذا المنزل.. والطريقة التي تعيش فيها.. بالكاد تتوافق مع متطلبات الحياة العائلية العادية... لقد ظننتك وحيداً في هذة الدنيا

- إننى أعيش وكأننى وحيد ولكن باتلاضافة إلى أمى لدى شقيقة... وشقيق أكبر منى

- ألا تراهم؟

- ليس فى أوقات متقاربة.

من الواضح أن هناك سر غامض هنا... أضف إلى أن خوليو قد يكون الابن الضال فى عائلته، ويعيش فى هذا العزل بناء لرغبة عامة

وكم هذة صورة متكاملة لزوج... وتحركت بقلق.. ولكى تنزعج أكثر ، انزلقت المنشفة لتكشف عن صدرها فأسرعت لرفعها.. فدفع كرسية إلى الوراء ووقف، فأحست بالانقباض فقد ظنت إنة سيتقدم من الفراش ولكنة قال:

- سأتركك الان، وفكرى بما قلتة لك. وربما تبلغين مارغريتا متى كنت مستدة لنقل أعراضى.. فهى لاتريد إزعاجك..

- نقل أغراضك؟ لست أفهم.

- كزوجة مستقبلية لى، يجب أن تلاقى كل احترام وهذا

أمر محتم.. لذا.. وحتى يوم الزفاف.. سأشغل غرفة أخرى بعيدا عنك.

- هذا أمر جدير بالثناء ولكن أليس متأخرا جدا.

- ليس من وجهة نظر عائلتى، أو من يعملون لنا فلماذا نتسبب باساءة لالزوم لها؟

وقالت بمرارة:

- فعلا.. لماذا؟

- إلى جانب ذلك أنا لن أخدع نفسى بأنك قد تكونى مشتاقة لمشاركتى الفراش مرة أخرى.

- فعلا.. وصدقنى. وإذا كانت الخادمات ستنقلن ثيابك فبأمكانهن إعادة ثيابى فى نفس الوقت.

- أتعنى تلك الثياب البالية التى وصلت بها؟ أشك فى أن تكون موجودة بعد.

- أتعنى أنهم تخلصوا منها؟ ياإلهى.. لاأصدق...

- ولم لا؟ لم تكن ثيابا" أنيقة، ولاحتى مناسبة. وإلى أن أستطيع تدبير الامر، بإمكانك الاستمرا بالاختياز من هذة

الثياب.

- لن أفعل...؛

- إذن... أبقى كما أنت.

وضحك بمرح ، وبمعنى، وهو يسمح لنفسة بالتحديق بما انكشف من مفاتنها وهى تعيد لف المنشفة حول جسدها وتابع:

- على كل.. لبست أم بقيت عارية، فأنت لن تذهبى إلى أى مكان

وقررت أن تفكر، غضبا عنها، بالملابس التى فى الخزانة... وكأنها ملابس المسرح.. شيء مضطرة أن ترتدية لتمثيل دور عليها أن تقوم بتمثيلة. ولكن عليها أن تجد شيئا أكثر ملائمة إذا كانت ستهرب.. حذاء قوى مثلا، فهذا من الضرورات، وتقلص جسدها وهى تفكر بكل الدواب الزاجفة التى تختفى تحت الاعشاب الملتصقة بالارض: الحشرات ،، العناكب.. العقارب التى قد تجلب عضتها الموت خلال ساعات. حتى أنها لم تحاول التفكير بالافاعى.

اوة ياإلهى؛ لماذا أتيت أصلا إلى هنا.

ومـا أن خـرجت من غـرفـة النوم الطعـام. وكـانت رائحـة القـهوة تعـيق فى الجو، كذلك رائحـة الخبـز المخبوز طازجا". وشـاهدت باتريسـيـا طبـقـا من الاناناس المقطع والمانغـو. ولم تكن تشـعر بالجوع، ولكن لعابها سال فى فمها لهذا المنظر. ووجـدت نفـسـهـا تهـاجم الطعـام وكـأن هـذة آخـر وجـبـة سستتاولها وصبت مارغريتا لها القهوة. وبقيت معها تدفعها لالتهام آخر قطعة خبز مع الزبدة.

وكإنما مارغرتيا قد تذكرت فجأة أيام كانت مربية، ورات فى باتريسيا تكليفا جديدا لها.

وعندما انتهت من الطعام ، رافقتها مارغريتا فى جولة حول المنزل. ومع أنها لم تفهم سوى القليل مما قالتة مارغريتا إلا أنها أوضحت بما لا يقبل الشك أنهاتتمنى لها المستقبل الطيب.

وبدا واضـحـا-أنهـا لن تترك لوحدها وتسـاءلت بقلق مع نفسها ما إذا كانت مارغريتا تتصرف من تلقاء نفسها أم بناء على تعليمات من خوليو. ربما يكون خطيبها ، غير المرغوب فية، يشك فى نيتها الاستجابة لمخططات المستقبل.

إحدى الغرف.. كانت مكتبا وأدخلتها مارغريتا إليها

بفخر.. وحدقت باتريسيا حولها إلى الخرائط على الجدار، وإلى رفوف الملفات الفولاذية اللامعة، وتساءلت ماذا يعنى كل هذا... وماذا يعمل خوليودى لاكروزا بالضبط كوسيلة للحياة فى هذة الزاوية المجهولة من العالم.

السكر.. لقد ذكر شيئا من هذا ،وعن مزارع قصب السكر قبل أن تهبط هذة الصناعة. وربما يحاول أن جهاز الارسال موجود هنا أيضا.. ليس إنة قد يفيدها بشىء، فحتى ولو عرفت كيف تستخدمة، فهناك أمل ضيئل فى أن يستجيب لها أحد.

ما عدا شخص واحد.. دايفد دودج.. فآخر ما سمع عنة إنة فى منطقة «سالتا» الجبلية وقد تكون الارسالية هناك قد سمعت بة أوتعرف مكان وجودة، فإذا كان الامر كذلك.. فمن المؤكد أن يساعدها.. كمواطنة أميركية لة واقعة فى مشكلة.. وخاصة عندما تخبرة عن عمتة.. أنها قشة أمل هشة، ولكنها تمسكت بها.. فهى لاتملك غيرها.

وانتهت الجولة وأوصلتها مارغريتا إلى غرفة الجلوس. القديمة الطراز، حيث كان بانتظارهما صينية قهوة أخرى تحمل فنجانين يبدو أن «الباترون» سيحضر.. وأحست

بعقدة تلتوى فى معدتها. ووضعت يدها على معدتها.. فحتى تستطيع أن تكون واثقة من أن هذا الحلم الردىء قد انتهى ولن ينقلب إلى حقيقة أسوأ منة، فسيستمر هذا العذاب وهذا الالم.

وتنهدت بصمت ومدت يدها إلى إبريق القهوة. وجمدت يدها وهى ترفعة بعد أن آحست أنها لم تعد لوحدها فى الغرفة

ورفعت رأسها لتراة واقفا" عند الباب ، ينظر إليها، وعلى وجهة نظرة تجهم، وكأن فكرة غير سارة قد مرت فى ذهنة.

إنة لايرغب، أكثر مما تفعل، فى هذا الزواج، لان يقضى ما تبقى من حياتة مع غريبة كاملة عنة، ولان يعود إلى بيتة ليراها ترتاح فى غرفة جلوسة.. على كل الاحوال.. حكم بالاشغال الشاقة المؤبدة هو ثمن مرتفع جدا" يدفعة ثمن ساعة أو ما يقاربها من التسلية والرغبة. وخاصة وأنها ليست جميلة جدا"

وقطع الغرفة بخطوات مرتاحة واسعة وجلس قبالتها، وأخذ الفنجان الذى قدمتة لة.

- هل أمضيت الصباح سعيدة؟

- أجل.. شكرا لك.. لقد أرتنى مارغريتا المنزل. لقد كانت

لطيفة معى.

- ما رأيك به؟

« إنة جـمـيل مـؤثر» هذا مـا تبـادر إلى ذهـنهـا.. ولكن لم تعرف لماذا قالت لة :

- لقد وجدتة مظلما متجهما؟

وأقفل حاجباة إلى بعضهما:

- لقد كان ملك عائلتى...

- أجل.. لقـد أخـبـرتنى هذا من قـبل وأنا أحب الشـعـور بالتقاليد.. لقد تعلمت أهمية الروابط مع الماضى من السيدات العجـائز ولكن هنا الامـر مبـالـغ فية وقـد يكون المنزل جمـيلا ولكنة غير مؤثر وقابض للنفس وليس هذا عائد فقط لما يحيط به... ولكنه يبدو وكأنه مهجور... أو... شىء ما... لا أحد يهتم به.

- لم يهتم أحد بة لمدة طويلة. ولقد تعجبت عندما وجدتة ولم يلتهمة النمل الابيض عندما وصلت إلى هنا،

- ولماذا أتيت إلى هنا؟

- كى أزرع قصب السكر كى أعيد بناء معمل التكرير لاجل

من لا يزال يعتنى بزراعة القصب ولكى أعوض عن الدمار الذى يحصل فى الغابات فى أمكنة أخرى، ولاعيد توازن الطبيعة.. أليس هدا مايسعى العالم إلية؟

- إنة أمر مهم بالطبع.. ولكن هل هذا ما أردتة أنت؟

- ولماذا هذا السؤال؟

- لاننى ظننت أنك ستعطينى سببا" آخر لوجودك هنا.... ثم غيرت رأيك

فابتسم.

- أنت دقيقة الملاحظة باتروسا.

- لقد أمضيت الكثير من حياتى أصغى ألى ما يقولة الناس.

- إشرحى لى هذا أرجوك؟

- السيدات العجائز اللواتى اعتنيت بهن.. السيدة آغنيس مثلا السيدة أغنيس كانت تشتكى من ألم محدد وتخشى سؤال الاطباء حتى لاتعرف أن هناك شيئاً خطيراً. ثم السيدة برغنر التى كانت تروى لى دائماً عن نجاح ابنها وترينى صور منزله الفخم، وزوجته الجميلة لتخفى واقع إنه لا يزورها

بالمرة.. وهناك الكثير أرويه لك من أمثال هذه... الوحدة.

– ومع ذلك فمن الجيد أحياناً أن يكون المرء لوحده.

– أوه.. هذا أمر مختلف تماماً.. فهذا ما تختاره بنفسك.. تعزل نفسك أحياناً لتتمكن من التفكير الجدى حول حياتك.. ومن أنت.. وإلى أين أنت سائر.. وأنا أحب هذا.

ـ ومع ذلك لابد أنك أحسست بالوحدة؟

– مثل أى إنسانة.. كما أعتقد.

فابتسم:

– وهذا أيضاً ليس ما قصدت قوله، من هم السيدات العجائز اللواتى تكلمت عنهن؟

– هن زبائنى.. فأنا أعمل لمؤسسة للرعاية الصحية والإجتماعية اشترى أغراضهن، أعتنى بصحتهن، أذكرهن بدفع فواتيرهن. وأحياناً أخرج معهن فى نزهات، أرافقهن بشكل عام.

وحدق بها خوليو دى لاكروزا باهتمام:

– وهكذا أمضيت كل حياتك؟

– ولم لا؟

– لا سبب يمنع.. فى الواقع هذا يفسر لى الكثير. ما عدا لماذا اخترت المجئ إلى هنا من بين كل الأمكنة فى العالم.

– النساء يسافرن لوحدهن فى هذه الأيام.. وأنت مثلاً لم توفر مرافقاً لجولى باترسون.

– جولى كانت قادرة على الأعتناء بنفسها.. وهى تعمل لشركة سفريات ناجحة فى أسبانيا، وتتحدث الأسبانية بطلاقة. أنت تدفعينى للظن بأنك جئت متوقعة أن أنام معك.

– هذا غير صحيح.

ووضعت الفنجان بعنف على الطاولة، فانسكبت القهوة على الصحن وتابعت:

– كيف تجرؤ حتى على ذكر..؟

– إذن لماذا وافقت عندما قلت لك أننى سأراك فيما بعد؟

أهذا ما عنيت؟ اوه يا إلهى!.. لم أدرك ساعتها...

ألا تتكلمين ولو قليلاً من الأسبانية أيتها الغبية؟

لدى كتيب للجمل. وتدبرت أمرى جيداً بواسطته، حتى يوم أمس.

يوم أمس كان نقطة تحول في حياتنا معاً.. حدثيني عن الرجل الذي جئت تبحثين عنه.

لن تفعل هذه، وخاصة إذا كان دايفد دودج في الجوار، وبإمكانه مساعدتها.

أظن أن هذا من شأني.

وسحب نفساً من سيكارته:

ولكنه أصبح من شأني بعد أن توضح لي إنه ليس عشيقك.

ربما لم تتح لنا الفرصة..

وسيبقى الأمر هكذا. فزوجتي لا تفتش عن أي رجل آخر. مهما كانت علاقتهما بريئة.

وردت عليه من بين أسنانها:

ولكنني لست زوجتك.

ليس بعد.. ولكننا أخذنا فرصتنا.

فرصتنا؟ منذ اربع وعشرين ساعة لم تكن تدري حتى بوجودي.

وهل تنظرين الى الامر بصبعوبة.. سوف يكون لنا الوقت

الكافى لنتعرف بشكل افضل قبل ان يصل الكاهن. اعدك بهذا.

لست ارى فى هذا اى طمانينة لى .

كم هذا مؤسف .

وتقدم منها ليمسك بيدها ويجذبها لتقف:

قولى لمارغريتا ان تحضر لك ثوبا غير هذا للعشاء الليلة.. فهذا الثوب يزعجنى.

وردت عليه بوحشية:

«كى بينا»، يا للاسف.. هل لديك اية اوامر اخرى تصدرها لى؟

ربما ان تبتسمى قليلا لى عند عودتى. وهذا...

وجذبها نحوه بسرعة فاجأتها فلم تقاوم.. وقبلها قبلة دافئة لم تترك لها مجالا للمقاومة. وعندما انتهت القبلة، وقفت جامدة بين ذراعيه، مدوخة، ومقطوعة الانفاس، وجسدها كله يرتجف من الامتعاض. وقالت له بصوت اجش، وقد اخفضت نظرها:

لقد وعدتنى...

وسالتزم وعدى.. كانت مجرد قبلة باتروسا. ولتزكيرك انك من الآن وصاعدا يجب ان لا تفكرى برجل آخر.. انا فقط..

هل فهمتي؟

اجل.

ارجو هذا. آتي لوغو(الى اللقاء) يا حبيبتي..

وراقبته وهو يخرج، ثم جلست ثانية على الصوفا لان ساقاها لم تعودا تحملانها. وكان فمها يحترق، وصدرها يعلو ويهبط، واحست بهشاشتهوكأنه لا يزال ملتصقا بصدره.

«يجب ان لا تفكري برجل.. انا فقط».

واخذت الكلمات تعود وترجع صداها في فكرها. واحست برجفة فجائية، فلفت ذراعيها حول صدرها وكأنها تحمي نفسها.

فقد بدت لها هذه الأوامر، سهلة جدا، خطرة جدا، مهلكة، ان تتبعها.

اوه.. يا إلهي العزيز.. ماذا يحدث لي؟

الباحثون عن الذهب

هطل المطر بغزارة تلك الليلة. وبقيت باتريسيا مستيقظة ومتوترة، وهى تستمع الى وقع المطر العاصف على السطح.. واخذت تفكر بالمطر الآن كنعمة بدل ان يكون لعنة.

فطالما المطر، ينهمر.. سيبعد هذا الكاهن عن المجئ الى هنا..

وكما وجدت صعوبة ليلة امس ان تبتعد من بين ذراعيه، وجدت الآن صعوبة فى ان تتخلص من ذكرايتها. ولكنها مضطرة لأن تنسى . فلا مستقبل لها هنا فى هذه الأدغال المتوحشة مع غريب.

وحدقت فى الظلام.. حسنا.. قد يناسبه المقام هنا، ولكن ليست انا.

ولن تستطيع الأنتظار الى ان تتمكن من الخروج من هنا، لتعود الى واقعها. وكل ما عليها.. ان تجد طريقة.

فكرة واحدة أبرزت نفسها وهى أن تقنعه بأخذها معه إلى حقول القصب حيث تتم عملية الحصاد. ولهذا فقد حاولت أن تظهر الأهتمام بما يرويه عن مزارعه.

وكانت زيارتها للمزارع مثيرة. فعلى الرغم من أن بين يديه مهمة صعبة فى هذه الأدغال.. إلا أن ما يثير الرضى إنه يمتلك مثل هذا الأهتمام والعطف على البيئة. وبدا لها شخصية أكثر تعقيدا مما تصورت فى البداية، ولن تستطيع نسيانه بسهولة.

وبتصميم، أعادت اهتمامها لخطتها.. فعليها أن تحمله على الثقة بها بما يكفى للسماح لها بالذهاب والمجئ تكرارا دون ريبة. وهذه مشكلة، لأن خوليو دى لاكروزا، ليس بالغبى. ولن يقتنع بتظاهر فجائى بالأستسلام.

اليوم التالى كان يوما جافا وحارا، طقس للبرغش،

فاضطرت لأن تبتلع حبوبا مضادة للملاريا، ولدهشتها كان خوليو على المائدة فى غرفة الطعام عندما دخلت إليها. والرجل الصغير السمين يقف قربه يتحدث إليه، وعرفت بأنه أحد الرجلين الذى أتيا بها.

فسألته وهى تجلس، وتمد يدها إلى وعاء القهوة:

هل تخططان لاختطاف آخر؟

آسف لأن مزاحك ضائع مع بيدرو.. والوضع الذى نتكلم عنه لا يثير الضحك أيضا . فبعض الحراس أبلغونا أنهم شاهدو «غاريمبيروز» فى الجوار.

ومن هم هؤلاء؟

إنهم مغامرون يبحثون عن الذهب والحجار الكريمة.ألا يسمح للناس بأن يجد الذهب.

الكثير منهم مجرمون. ويسعون إلى تهريب ما يجدونه خارج البلاد. ومعهم جوازات سفر مزورة من التشيلى والبيرو وهم عادة مسلحون وخطرون. وإذا كانو ينشطون فى محيطنا فمن حق المزارعين أن يخافوا.

وماذا تفعلون حول هؤلاء الناس؟ اتنظمون حملة «صيد بشر» ضدهم.

لا.. لا افعل هذا مثلما لا أجرؤ على ركل أفعى نائمة.. فنحن ننظم دوريات، وندعهم يعرفون أننا شاهدناهم، فيحذروا من أن يتقدموا نحونا.. وحياتهم فى الأدغال دون طعام أو دواء ملائم، العديد منهم لا يعيش، وأحيانا الغابة تدفعهم للجنون، وغالبا ما يقتلون بعضهم بعضا.

فتجهم وجه باتريسيا:

هذا فضيع.. ألا يمكن فعل شئ حيال هذا؟

كم تبسطين الأمور.. لقد أتيت من بلاد آمنة وفى ظنك أن بالأمكان تطبيق الحدود على غابات الأمطار هذه... «الجحيم الأخضر».. هل تتصورين أن بإمكانك حراسة الجحيم كما يجرى فى بلدتك الصغيرة.

إذا كنت تنظر إلى المكان كجحيم فلماذا تعيش هنا؟

هناك أماكن أسوز من هنا. ثم لدى عمل أقوم به.

ووقف خوليو معتزرا وتبعه بيدور، وعلى وجه الأثنين

علامات التجهم. وتابعت طعامها، لا بد أن هؤلاء «الغارانبيروز» مصدر إزعاج حقيقى.

وخرجت منغرفت لطعام تبحث عنه. ووجدته فى المكتب، وما أن أطلعت من الباب حتى شاهدته يحشو مسدسا بالرصاص، وهذا أمر لم تشاهده من قبل إلا فى الأفلام أو على التليفزيون، ولكن مشاهدته فى الواقع ليس له اللمعان الذى فى الشاشة، فهو يحمل معنى التهديد والشر المشؤوم.

واستدار إليها مبتسما، ولكن ابتسامته اختفت بعد أن لاحظ تعابير وجهها:

هل هناك شئ خاطئ ؟

هل ستستعمل هذه حقا؟

أجل.. إذا اضطررت.. ألا توافقين؟

حسنا، بالطبع لا أوافق، فأنا أكره أى نوع من العنف.

وهل تظنين أنك لوحدك تكرهين العنف؟ ولكن هناك مواقف لاتعود المثاليات تنفع فيها.. وعلى الواقع أن يتقدم. صدقينى باتروسا، أنا أدافع عن نفسى وعن ممتلكاتى. فلن

يأخذ أحد منى ما لست مستعدا لأعطيه.

تبدو وكأنك تحت الحصار.

بعض الأحيان أشعر هكذا. فكل يوم هناك معركة مع البيئة كى أحمى مزارعى من الحشرات والأمراض.. ولأحمى عمالى ضد الأمراض والموت. وهناك ضوارى مفترسة فى كل مكان، واسوأها الجنس البشرى.. ولكننى واثق أنك لم تفتشى عنى لمجرد مناقشة الشر والعنف.

وعضت على شفتها:

لا.. لقد أتيت لأسألك كيف تتوقع أن أشغل اوقات فراغى هنا. فأنت وراءك المزرعة ومارغريتا والخدم عليهم الأعتناء بالمنزل، أما أنا فلا شئ أعمله.. وسأضجر..

وهل يضجرك أن تراقبى سير العمل فى منزلى؟

لم أكن أعلم أن هذا ما يفترض بى أن أفعل... فبعيداً عن حاجز اللغة، فالعناية بمنزلك تبدو ممتازة دون أن أتدخل.

مارغريتا جوهرة. ولكن حتى تتعلمى القليل من الأسبانية، سأزودك بمترجم، فابن أخ مارغريتا، أماندو، يتكلم بعض

الأنكليزية، وسأطلب منه القدوم لنجدتك

هذا سيساعد... ولكن النهار طويل.

فصمت للحظات ثم قال:

لقد جئت ببعض الكتب معى من الخارج، وبعضها إنكليزى. وسوف أطلب وضعها على حدة... ولكن ألا تخيطين؟. أمى تقول أن هناك دائماً أشياء للتصليح.

فردت بمرارة:

- أعلم أن هذه قيود زمنية لى... وماذا بعد؟

باستطاعتك أن تعتنى بنفسك.. إجعلى نفسك جميلة لعودتى إلى المنزل الليلة.

وأرسلت الفكرة لون الخجل إلى وجنتيها والتوتر إلى صوتها:

أخشى أن لا يكون هذا من عادتى.

ألا ترين حاجة لأن تزينين نفسك لرجلك؟

بصراحة... لا.

هذا مؤسف.. ولكنك ستتعلمى.. وسيكون من دواعى سرورى أن أعلمك.

لا تعتمد على هذا.

واستدارت بحدة على عقبيها، وخرجت، وهى تسمع ضحكته خلفها. وذهبت إلى غرفة النوم وصفقت الباب وراءها.. ووجدت أنها ترتجف، وهذا ما أزعجها أكثر..

عندما أرتها مارغريتا المنزل، لاحظت وجود غرفة للخياطة، وأكوام من القماش القطنى المطبع بالألوان الزاهية. وهى تعرف تماما مقياسها وصنعت بعض الملابس لها من قبل. ومن المؤكد أن تستطيع بعض الأساسيات البسيطة، العملية ولكن غير الفاتنة.

واختارت قماشا أصفر جميل. ومدته على الأرض ثم صنعت «باترون» للموديل الذى ترغب فيه وأخذت تقطع القماش بالمقص وهى تصر على أسنانها. وأستغرقت فى عملها إلى أن سمعت دقا على الباب وأطلعت مارغريتا برأسها:

أى.. سنيوريتا!

فنظرت إليها متحدية:

هل هناك شىء؟

فتنهدت مارغريتا وأشارت إليها أن أماندو قد وصل، وتبعتها إلى غرفت المكتبة. خزانة خشبية كبيرة كانت تقف قرب الحائط، وإلى جانبها صبى فى حوالى السادسة عشر. يدير قبعته بحياء بين أصابعه، وقال محييا:

بوم ديا سنيوريتا (مرحبا سيدتى) الباترون أرسلنى لأتكلم عنك.

أنا شاكرة لك أماندو، ربما يمكنك تعلمينى بعض الأسبانية. هل يمكن أن تطلب من عمتك أن تأتى لى بماكنة اخياطة؟

وبدت مارغريتا غير مسرورة من الطلب.. فقد كان من سعادتها أن تصلح الثياب للسنيوريتا، كما قال أماندو، ولى السنيوريتا أن لا تزعج بمثل هذه الأمور ومع هذا القماش الرخيص. وردت عليها باتريسيا، عن طريف أماندو أنها تفضل موديلاتها الخاصة، وأطاعت مرغريتا وهى تحتج.

وأخذت باتريسيا تفتش بن الكتب.. ولدهشتها وجدت كتبا لكتاب كلسيلكيين بالأنكليزية، أمثال ديكنز وهاردى إضافة إلى مجموعة من المؤلفات الحديثة، لم تكن قد قرأت أى منها.

وكان هناك بعض رفوف فارغة فى نهاية الغرفة، فرتبت

بعض الكتب عليها وأبقت كتابا جديدا لتقرأه. وساعدها أماندو.. لغته الأنكليزية كانت بدائية جدا ،ولكن بدرجة معينة من التصميم والأرادة الطيبة وجدت باتريسيا التخاطب بشكل معقول.

وأكتشفت أن آلة الخياطة هى آلة قديمة يدوية، فوضعت الخيوط فيها وبدأت الخياطة، وهى تتبادل الحديث مع أماندو.

نبأ إيجاده عروسا وقرب زواجه كان قد انتشر فى كل المنطقة وكزنه النار فى الهشيم. وكل المقاطعة تستعد للأحتفال بالزفاف، وأضاف أماندو وهو يبتسم.. وأحست باتريسيا بحرارة الخجل.

وكانت تحاول تقرير طول فستانها عندما دخلت مارغريتا عاصفة إلى الغرفة وبعد قليل أعادت زماندو ما كانت تقوله:

وجدوا رجلا فى الغابة... ومجروح بشكل سىء. مريض جدا .. ربما يموت.. ويقول الباترون أن نحضر فراشا له.

هل هو احد العمال؟

لا.. غريب.

اوه.. أحد «الغارانبيروز» ربما؟

ناو سنيوريتا.. سنيور دون خوليو لا يأتى به هنا. على كل.. سأحميك.

وانتفخ صدره. فابتسمت باتريسيا، وقالت بلطف:

شكرا لك أماندو. هذا مايطمئننى.

وأسرعت وراء مارغريتا تساعدها، وكانت على وشك الأنتهاء من ملس الغطاء الأبيض عندما دخل خوليو الغرفة والمريض محمول خلفه على نقالة.

مريض جدا.. ويمكن أن يموت.

لا أحد يستطيع الجدال فى هذا القول.. واحست برعب ممزوج بضعف وهى تراقب نقل الرجل من المحفة إلى السرير.. وكان نحيلا إلى درجة الهزال، وقذرا، وجرحه البشع

ينز بالدم المتقيح عبر شعره المتلبد فى جانب رأسه. وثيابه الممزقة تكشف عن تورمات فى ذراعيه وساقيه.

وهى تتقدم منه لتنظر عن قرب إليه، أمسكها خوليو من ذراعها وقال آمرا:

إرجعى إلى الوراء.. فلديه حمى.

فسألته وهى ترتجف:

هل سيكون بخير؟

ربما.. إذهبى الآن. لا يمكنك فعل شىء هنا.. يجب أن أعرف نوع الحمى ونوع الإصابات.

وهل ستعالجه؟ ولكنك لست طبيبا..

أقرب طبيب هو فى سالتا.. مثل أقرب كاهن. وأنا «الباترون» هنا.. وأعتنى بكل الناس.. إذهبى الآن، أرجوك.

وأطاعته على مضض.. واستدارت لتنصرف وهى تنظر نظرة أخيرة، وهى تفعل تحرك الرجل، وتمتم بشىء.

وللحظة وقفت باتريسيا جامدة تماما، تتساءل ما إذا كان أحد غيرها قد سمع ما قال، ولكن هذا مستحيل، فخوليو كان يغسل يديه وأماندو يقف عند الباب، بعيدا عن السمع. لذا كانت الوحيدة التى سمعت الرجل يتمتم «الأنزال».

وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها، واستندت إليه، إنه أمريكى أو إنكليزى. يا إلهى.

واغمضت عينيها محاولة تذكر صورة دايفددودج، وما إذا كانت تحمل أى تشابه مع بقايا الأنسان المستلقى فى الغرفة.

إنه تقريبا بنفس الطول، وشعره يمكن أن يكون أشقر تحت كل هذا القذر والشحم...

ياإلهى لا تسمح بأن يكون هو، لقد كنت معتمدا عله للهروب... وهزت كتفيها، وتابعت سيرها على مضض إلى غرفة الخياطة.. وكانت على وشك إنهاء خياطة الفستان عندما دخل خوليو وجلس متعبا على الكرسى المقابل لها. فسألته بقلق ظاهر:

كيف.. كيف هو؟

إنه بين يدى ربه، إنه فى غيبوبة.

إذن لا فكر لديك عمن هو. وكيف وصل إلى هذه الحالة؟

لدى عدة أفكار، وعندما يستعيد وعيه سوف اطرح عليه بعض الأسئلة.

إذا تظن أنه سيتحسن؟

لقد حصل على أفضل معالجة منى. ومارغريتا ممرضة قادرة

بإمكانى مساعدتها.

أشك فى أن تسمح لك.

ولكننى راضية.

ربما، ولكن ما يهمها أنك إمرأة غير متزوجة وستصدم إذا رأيتك تعينين برجل غريب. وأنا أيضا أفضل أن تبقى بعيدة.

قد تكون السيد الآمر هنا. والجميع يقفز لخدمتك، ولكننى لا آخذ الأوامر منك، فأنت لا تملكنى.

لم أملكك بعد. ولكنها مسألة وقت قبل أن تقسمى على طاعتى لذا لماذا لا تتحضرى لهذا الأمر بتعلم احترام رغباتى؟

لأننى أقسمت من قبل. أقسمت أن لا أدع أحدا يتسلط على أبدا.

وتحركت عضلة عند زاوية فمه وقال بصوت هادىء خطر:

إحفظى لسانك باتروسا.

لماذا؟ ماذا تستطيع فعله لى ولم تفعله بعد؟

أنصحك بأن لا تحاولى المعرفة.

أتهددنى؟ لقد هددتنى بأسوأ ما يمكن أن يحدث.. الزواج

منك. وأعتقد أنك لم تستطيع إيجاد أى فتاة تقبل بك طوعا. ولم تقع في الحب رأسا على عقب لتطلب يد أحد... لا.. كان عليك أن تختطفني، وتجبرني على أن أقبل بك بدل طلب فدية.. حسنا دعني أقول لك.. أفضل دفع فدية أيا كانت ولا أن أتزوجك.

هذا أمر مؤسف لكلينا ولكنه لا يغير شيء يا باتروسا. مرة أحببت فتاة، بكل ما أستطيع، وضعت حياتي تحت قدميها. حيات آل لاكروزا.

ورفضت كل هذا؟ إنه قصر نظر أن لا تريد أن تكون واحدة من آل دى لاكروزا.

فرد عليها ببرود:

ليس بالضبط يا عزيزتي.. لقد تزوجت شقيقي بدلا مني. ولهذا سوف أتأكد من عدم حصول نفس الغلطة مرة أخرى.

وبينما جلست باتريسيا بصمت مطبق، مذهول، انحنى لها محييا، وغادر الغرفة.

كل المشاعر

جلست باتريسيا لفترة طويلة، تحدق أمامها ساهمة، وكلمات خوليو تدور فى رأسها. فمهما كانت تتوقع أن تسمع منه، لم يكن ما قاله بالحسبان. وتذكرت كيف إنه عندما ذكر أخاه، تغيرت ملامحه... وبشكل غريب.

هل دفعه هجران تلك الفتاة له إلى هذه العزلة النائية والمحيط الخطر؟ إذا كان كذلك، فلابد أنه أحبها كثيراً.

وفى نفس الوقت عليها أن تبقى فى ذهنها، أن خوليو وعلى الرغم من تجربته المريرة مع حبه الضائع وتمنعه من التورط الجدى مع أية إمرأة، إلا أن هذا لم يجبره على البقاء

دون نساء، وجولى باترسون هى الدليل.

هيا!.. توقفى عن هذا التفكير! ففى لحظات قادمة ستبدأين بالأسى عليه، وأنت بحاجة إلى كل مشاعر العطف لنفسك... فأنت من سيتزوجه... مع علمك أنه لا يهتم البتة فيك!

ورمت الفستان الذى كان تخيطه على ذراع الصوفا إنه الآن بحاجة إلى تمليس، وستطلب من أماندو أن يعطيه للخادمات ليكوينه. عليها أن تختار المزيد من القماش لتخيط فستاناً آخر، ولكنها أحست فجأة، بفقدانها لحماستها.

على كل.. لابد أن الوقت قد حان للغداء، وقررت أن تذهب رأساً إلى «صالا دو جانتار» أى غرفة الطعام.

ولكن ما أن خرجت إلى الممر، حتى شاهدت مارغريتا تخرج من غرفة المريض تحمل صينية عليها أطباق وملعقة.. وما أن اختفت حتى سارعت باتريسيا لتلقى نظرة عبر الباب المفتوح... وكانت الغرفة فارغة ما عدا من الجسد السجى فوق السرير، يشخر.

وتقدمت باتريسيا بصمت نحوه، ووقفت تنظر إليه..

فتحرك وتمتم ولكن هذه المرة لم تفهم كلماته أو تخمن بأية لغة يتكلم. ولم تستطع أيضاً أن تعرف ما إذا كان هذا الوجه الذى طالت لحيته هو لدايفد دودج أم لا.

ومرت الأيام التالية بسرعة، ووجدت باتريسيا، بذهول، أن حياتها قد بدأت تتعود على نوع محدد من الرتابة. وبمساعدة أماندو تمكنت أن تلعب دوراً مهماً فى إدارة البيت. فمارغريتا كانت مشغولة تماماً فى رعاية المريض، ولذا كانت ايزابيلا، الطباخة، تجئ إلى باتريسيا لتقرر لها وجبات كل يوم وتتلقى التعليمات منها للخدم.

وبسقوط أول خط دفاع لها وجدت نفسها تتمتع، تقريباً، بمشاركتها فى حياة المنزل... فالأعمال المنزلية هو ما تفهمه، وأثارها أن ترى كيف أن الأمور هنا تجرى على الرغم من عزلة المكان.

وعلى الرغم من اللحوم المصطادة من الغابة، فإن معظم التموين كان يأتى من «سالتا».. وفى المنزل سقيفة مبردة يخزن فيها اللحم والمواد الغذائية الأخرى القابلة للتلف... أما الكهرباء فتاتى من مولد كهربائى.. وعلى الرغم من وجود تيار

فى المنزل، إلا أنها لا تستخدم كثيراً فيه. فالقناديل الزيتية توفر معظم الأنارة، والحطب يستخدم كوقود للطبخ ولتسخين الوعاء النحاسى العملاق، حيث تغسل كل الشراشف البيضاء والثياب.

وقد يبدو هذا بدائياً، ولكنه ناجح، ولا يبدو على أية خادمة الحنين لحياة المدينة أو إلى أى من التقنيات المتمدنة.

ولكن، لن ينفعها أبداً، التعود على هذه الحياة.. أو أن تستقر. فهدفها الأول لا يزال الهرب.

بالنسبة لها، وبطريقته الخاصة، هو بالجمال والخطورة التى لأى حيوان مفترس فى قلب الغابة... وكانت باتريسيا أحياناً فى وسط الظلام تستيقظ مذعورة لسماع صرخاتهم المخيفة الوحشية من بعيد. وهذا ما يذكرها كم أن هذا المنزل ما هو إلا آخر نقطة من مواقع الدينة فى العالم... وكم أن الأدغال تمتد حدودها قريباً جداً، فترتعش.

فتاة أكثر خبرة منها، ولكن هى لن تستطيع.. إنها تشعر.. مثل.. مثل غصن صغير عالق وسط انجراف النهر اللعين، والتيار يدور بها ويدور دافعاً إياها نحو الدمار.وأعلن لها

أماندو بعد أيام:

عمتى ممرضة جيدة.. الرجل لم يعد مريضاً الآن.. يريد طعام.. يريد أن يحلق..

وخفق قلب باتريسيا. خوليو قد غادر إلى عمله اليومى، وربما تكون هذه أفضل فرصة لها لكلمة على إنفراد مع الغريب.. لو استطاعت إقناع مارغريتا... وقالت له:

هذه أخبار رائعة.. وخاصة أنها تعنى أن بإمكان عمتك الآن العودة إلى أعمالها الأخرى، أنطونيو كان هنا، وأظن أن زوجته على وشك الولادة، وهو يريد المساعدة من مارغريتا.. ربما عليك أن تبلغها.

ولن تكن تجذب تماماً، فأنطونيو، مسؤوا العمل فى المزرعة،لديه فعلاً زوجة حامل مثقلة، ولها تاريخ فى الحمل الفاشل، وهو فعلاً قد زار المنزل، ولكن لسبب مختلف تماماً. وقفز أماندو واقفاً:

سأذهب الآن سنيوريتا!

وسمعت باتريسيا صوت مارغريتا وهى تستجوب أماندو وهما متجهان إلى المطبخ.. هذه فرصتك..

المريض كان يجلس فى فراشه، يتناول الحساء، عندما دخلت عليه. فوضع الملعقة من يده وحدق لها بإستغراب وسألها بالأسبانية:

من أنت؟

فأجابته بالأنكليزية:

هذا ما أريد أن أسألك؟

وتقدمت إلى السرير تنظر إليه متفرسة.. وأستطاعت أن تتعرف إلى دايفد دودج من صور عمته، بعد أن حلق ذقنه ومشط شعره. مع وجود الرباط على جانب رأسه. وقالت:

أنت دايفد دودج.. أليس كذلك؟

وساد الصمت، ثم التوى فمه ببسمة اعتذار:

– أخبرينى أنت.. فلقد تلقيت نوعاً من الصدمة مما يعنى أننى لا استطيع تذكر شيء. وليس لدى أية فكرة عمن أكون أو عما حدث لى.

وصاحت"

اوه.. لا.. لا يمكن.. أنت لا تعنى هذا!

أخشى أن يكون هذا صحيحاً. ولكن، هذا مهم لى، ولا أستطيع فهم أهميته لك.

أتعلم أين أتن الآن؟

لقد قيل لى.. يبدو أن هذا المكان منزل صاحب مزارع قصب سكر، وصاحبه من حملنى وطببنى وأعطانى الحقن فى الأيام الماضية. ولكننى عرفت أنه أرجنتينى. وواضح أنك أميركية.

فهزت باتريسيا رأسها:

لهذا أريد التحدث معك.. لأتأكد. أترى.. أنا محتجزة هنا ضد إرادتى.

واستدار دايفد دودج فوق وسادته وقطب جبينه:

أنت تخدعينى.

لا.. أقسم لك. يجب أن تصدقنى. لقد وصلت هنا بالصدفة.. والمالك الآن، خوليو دى لاكروزا، لا يتركنى أذهب.

ولم لا؟

الأفـــضل أن لا أخـــوض فى هذا.. وعليك فـــقط أن تصدقنى... كذلك واقع أنك دايفد دودج.

وتناول ملعقة من الحساء أمامه، ثم سألها:

وما يجعلك تعتقدين هذا؟

كنت أعرف.. أعرف عمتك. وتحدثت عنك.. وأرتنى بعض صورك.

ألاحظ أنك تستخدمين صيغة الماضى.

أجل.. وأنا آسفة جداً..

وكيف تعرفتى إليها؟

كنت أعمل لدى مؤسسة خدمات، وكانت إحدى زبوناتى. كانت سيدة محبوبة، ولطيفة معى.

لا شك فى كلامك.. ولكننى أخشى، حتى ولو كانت عمتى.. فهى مجرد هوة أخرى فى ذاكرتى.. ولا تعنى لى شيئاً.

ومع ذلك تتذكر اللغة الأسبانية.

ونظر إليها بحدة:

وماذا تعنين؟

عندما دخلت إلى هنا سألتنى من أنا بتلك اللغة.

صحيح؟ حسناً ربما كان مجرد ضوء فى الظلام. لأننى لم أفهم كلمة مما كانت تقوله لى تلك المرأة الضخمة، ولحسن الحظ رب البيت يتحدث الأنكليزية بطلاقة. وإلا لكنت فى متاهة.

وأحست بخيبة الأمل تهزها:

واضح أن هناك بعثة طبية فى مكان يدعى «سالتا» ويقول لاكروزا أنهم سيحضرون لى طبيباً يفحصنى، حال أن يهبط مستوى النهر.

وهل قال لك متى تقريباً؟

أظن أنه قال « أمانها» ولست أدرى معنى الكلمة.

إنها تعنى غداً.. أو أى يوم بعد سنة أو أثنتين. وكنت أسمعها كثيراً على متن المركب. وكنت أعتقد أن ستغادر هنا

حال أن تستعيد عافيتك.

هذا بالضبط ما أريد فعله بالطبع، ولكنهم لن يسمحوا لى وأنا مصاب بفقدان الذاكرة، هل أنت متشوقة كثيراً للخلاص منى؟

أريد الذهاب معك.

حسناً، هذا يسعدنى.. آنسة..؟

بالمر... باتريسيا بالمر.

أوكى... لقد تعرفنا ببعضنا ولكن هذا لا يعنى أن علينا الهرب معاً.

أنا لا أعنى هذا. كل ما أريده هو الإبتعاد عن هنا، وبإمكانك مساعدتى.

فى ظروف عادية، ربما. ولكن حسب ما هى الأمور الآن..

وصمت، وتحول نظره إلى خلفها نحو الباب. وعلمت من تعبير وجهه ما ستشاهد عندما تستدير.

وكان خوليو يقف بالباب ويداه على وسطه، يبتسم ولكن

استطاعت باتريسيا أن تلاحظ الغضب الدفين على وجهه.. كم سمع يا ترى؟

«بوم ديا» سنيور (نهارك سعيد) أنا سعيد لأعلم انك أفضل حالاً. وأرى أن «نويفا» قد عرفتك بنفسها وسأل دايفد بعجل؛

«نويفا»؟ لا أفهم...

زوجتي المستقبلية.. أو أنها لم تقل لك؟

أظن أنها كانت على وشك قول هذا. وأتمنى لكما السعادة، بالطبع.

فابتسم خوليو:

وأتمنى لك العافية التامة بسرع، وعودة الذاكرة الكاملة. إلا إذا كان الماضي غير مهم لك، بالطبع.

ربما يكون هكذا. ولكن، لسوء الحظ، ليس هناك طريقة لأعرف أنه وضع لعين، كما كنت أشرح لآنسة بالمر.

لا أصدق أنها تكون متعاطفة معك.. فباتروسا تفضل أن

تمحى ماضيها القريب، كما أظن. والآن سنتركك لترتاح.

فى الخارج، فى الممر،جذبها لتستدير نحوه. وقال بغضب:

هل أتكلم لغتكم بهذه الرداءة؟

وحاولت تحرير نفسها:

ماذا تعنى؟

لقد قلت لك أن تبتعدى عنه، ومع ذلك وجدتك فى غدفته، لماذا؟

ولماذا لم تخبرينى أنك عرفت أنه أمريكى؟

لأننى لم أعتقد أن الأمر مهم... أم أن المشاركة فى الجنسية يشكل نوعاً من القرابة السرية فى نظرك؟

من الطبيعى أن أهتم به. كما أننى لم أقابل شخصاً يعانى فقدان الذاكرة من قبل. وأنا واثقة، لو أننى تحدثت معه عن وطننا.. مثلاً.. فقد ينعش هذا ذاكرته.

فرد عليها ببرود:

هذا هو وطنك الآن. وأنا واثق أن ذاكرة موطنك سوف تعود إليه دون تدخل منك. وهذا الأنزار الأخير لك باتروسا.

إبتعدى عنه، وإلا فستعانين من غضبى.

فردت عليه ساخرة:

لقد أفعزتنى...

وتمتد بكلمات من بين أسنانه لم تفهمها، ثم جذبها بين ذراعيه.

هناك طريقة واحدة فقط للتعامل معك.

أتركنى...

أبداً لن أتركك.

لو أنها تستطيع محو كل شيء من ذاكرتها، وبالتالى محوه من أمام أنظارها... ولكن لا جدوى... مستحيل! فحرارة جسده تلتصق بجسدها أمر لا يمكن تجاهله، وقبلاته عميقة وحساسة، تسحب الأنفاس من رئيتها. وأحست بإثارة تبعث الخجل تحت تسلط أصابعه فوق بشرتها.

واضطرت لأن تتمسك بكتفيه حتى لا تنهار إلى الأرض، وأحست بجسدها كله يرتجف تحت تأثير الرغبة، غير المتوقعة

وغير المرحب بها، وهذه المرة، تأكدت من ملاحظة ما يثيره فيها دون خوف، وأحست بجفاف فى حاقها... وقال لها بصوت ناعم عميق:

هل ترغبين بى «كارينا» (حبيبتى).

أفكارها أرادت أن تصرخ بجنون «نعم» اوه نعم، اللعنة عليك! وأنت تعرف هذا... ولكن الصوت الوحيد الذى خرج من فمها ككان تنهيدة صغيرة منخفضة.

وأسندها خوليو إلى الجدار. وأصابعه تتخلل شعرها، ليجذب رأسها إليه مرة أخرى.

مهما سيطلب.. مهما سيريد منها.. ستعطيه.. لم يعد شئ فى الدنيا موجود سوى خوليو... وهذا الوعد الغامر بالسعادة.

ولم يعد أى شئ يهمهما أو يحسان بوجوده، إلا أن قطع عليهما النشوة صوت وكأنه السوط:

سنيور!

وكانت مارغريتا تقف على بضع خطوات ووجهها الأسمر

مقنع بالغضب:

باستا؟ (مرة أخرى).

وبتنهيدة تركها خوليو، وتراجع عنها. وارتعدت باتريسيا من الأحراج، وتعثرت وهى تسرع نحو غرفتها.

بالتأكيد، لم يعد ذلك المحترم فى عينى مربيته.. بل شخص يقوم مرة أخرى بخيانة مفاهيم الشرف لدى عائلته.

ورمت باتريسيا نفسها فوق السرير، ودفنت وجهها المحترق بالدم فى الوسادة، وهى تضربها بقبضاتها، تشتعل بالغضب، والكراهية لنفسها ولضعفها.

وبقيت حيث هى لما تبقى من اليوم.. وكم تمنت لو تستطيع طلب العشاء إلى غرفتها. ولكن كبريائها طالبتها بأن تنهض، وأن تستحم وتغير ملابسها، كما كانت تفعل كل مساء حتى الآن، ويجب أن لا تسمح لخوليو أن يعتقد بأنها تخاف من مواجهته.. لقد ارتكب خطئاً، ولن تتكرر لحظات الضعف تلك..

عندما وصلت إلى «صالا دو جانتار» وجدت أن دايفد دودج هناك، يصب لنفسه كأس شراب. وحياها قائلاً:

مرحباً.. أرجو أن تغفرى لى مظهرى.. فهذه ملابس مضيفى، وجسده أضخم من جسدى.

وهل أنت واثق أنك بصحة تسمح لك بترك الفراش لتناول الطعام؟

أشعر ببعض الأضطراب والترنح.. ولكن ما عدا هذا، أنا بخير. ولا أحب أن أكون معاقاً.

وهل هذا شئ تذكرته؟

بالغريزة كما أعتقد. هناك أشياء يمكن لك أن تتذكريها.. هكذا.

علينا أن نتكلم..

ورفع دايفد يده محذراً:

ما من مجال يا حلوتى... لقد رأيت أضواء الخطر فى عينى صديقك بعد ظهر اليوم. وأنت لم تذكرى واقع أنكما مخطوبان.

لسنا مخطوبان. طلب منى الزواج ورفضت.. وهذه آخر القصة.

لدى فقدان ذاكرة حبيبتى ولكن عقلى ليس مخرباً. وهذه

ليست الحقيقة الكاملة... ليس بالنسبة له، وأنت تعرفين هذا، وهو ليس من النوع الذى يقبل «لا» كرد.

وماذا عنى؟ ماذا لو كانت «لا» هى الرد الوحيد الذى أملكه؟

إسبحى مع التيار باتروسا.. هذه نصيحتى. وإذا لم يكن يناسب فكرتك عن «فتى أحلامك» عليك الجلوس والأستمتاع بماله.

هذا إقتراح مثير للقرف. أريد أن أخرج من هنا، ولا أستطيع هذا لوحدى. ويجب أن أحصل على مساعدة.

حسناً، لن تحصلى عليها منى. إنه رجل متسلط، ولا أستطيع تحمل إغضابه.. فلدى مشاكلى الخاصة.

ولكننى واثقة أنك تستطيع فعل شئ ما.. لطالما أخبرتنى عمتك عنك. ولابد أن هناك شئ ما أستطيع فعله كى تتذكر...

ولماذا؟ ليس عندى سوى كلمتك بأن لى عمة.

ولكن ليس عليك تصديقى أنا فقط، فلو عدت إلى أميركا لحصلت على دليل من محاميها، فقد تركت لك كل ثروتها.. تقريباً.

وماذا تعنى... بتقريباً؟

لقد تركت لى بعض المال... لأصرفه على السفر.. وهذا ما ساعدنى على المجئ إلى هنا.. كان يفترض أن تكون رحلة العمر.

مثل هذه الرحلات ليست رخيصة.. لابد أنها تركت لك الكثير.

أجل.. مما أصابنى بالدهشة أيضاً.

أنت محظوظة.. إنه استثمار جيد لمالك.. فها أنت على وشك أن تكونى السنيور دى لاكروزا، مع المزيد من المال.

ولكننى لا أريد هذا.

إنها مشكلتك إذن يا حلوتى.. لأننى لست أنوى أن أشاركك نواياك.

وسمعت وقع خطوات خوليو، فاجتاحت وجهها مسحة حارة مؤلة من الخجل.

ودخل خوليو، وصدم قليلاً عندما شاهدهما معاً، وتنقلت نظرته بينهما:

مساء الخير.. أعتذر لتأخرى عنكما.

وتناول يد باتريسيا المرتجفة ليرفعها إلى شفتيه:

ولكن، أظن أنكما عندما تسمعان سبب التأخير يا عزيزتي، فسوف تسامحيني. لقد كنت أتحدث بالجهاز اللاسلكي مع «سالتا».

وحدقت به باتريسيا، وقد بدأ قلبها يخفق بحدة واضطراب:

النهر...؟

وأطرق خوليو رأسه:

لقد انخفض أخيراً.. لذا فالأب غوميز سيصل بعد غد.

وابتسم ساخراً ومتحدياً وتابع:

بعد بضع ساعات «كوريدا».. أنت وأنا سنكون زوجين.

تضييق خناق

وحث خوليو باتريسيا على الرد بعد أن طال الصمت:

حسناً؟ أليس عندك ما تقولينه؟

بل هناك الكثير... ولكنها كانت ترتجف في أعماقها وأحست بحنجرتها تضيق حتى على أنفاسها، فكيف بالكلام؟

كل ما أمامها الآن أقل من ثمان وأربعين ساعة كي تحقق عملية هروبها.. وسألته بخشونة:

أليس.. أليس هناك من مخاطرة بعد؟

في الأحوال العادية، ننتظر فترة بعد، ولكن بما أن هناك

ضرورة، فهم راغبون فى المحاولة.

ضرورة؟

فقدان ذاكرة مواطنك؟

واستدار إلى دايفد دودج:

سوف تكون مسروراً «أميغو» لتعلم أن مساعد طبيب كفؤ سوف يرافق الأب غوميز.. ولا شك، لو أن الأمر ضرورى فسوف يحولك إلى المستشفى فى سانتافيه.

اوه... أنا واثق أن لا حاجة لهذا... فربما عندما يذهب عنى هذا الصداع تماماً، سأبدأ فى تذكر الأشياء.

لا أظن أننا يجب ترك أمر هام كهذا للصدف. من المؤسف أنك لا تتذكر ما سبب هذا الجرح فى رأسك.

ربما أصبت نفسى بغصن شجرة وأنا أهذى من الحمى.

ربما.. ولكن إذا أمعنت التفكير لآمنت أن هذا الغصن كان فى يد أحدهم.

وهل تعنى أننى هوجمت؟ ممن؟

هذا شئ ستقوله لى أنت.. ربما.. بعد استعادة ذاكرتك.

وانتشر على وجه دايفد تعبير بشع:

وإلى ماذا تلمح بحق الجحيم؟

ألمح فقط إلى أن هناك عدة أسئلة ستبقى دون جواب للأسف، بينما فقدان ذاكرتك مستمر، ولو كنت فى مكانك، وورائى عدو يحاول القضاء على، فسأحاول معرفة هويته... والآن جاء وقت العشاء.. هل لنا أن نجلس إلى المائدة؟

وكانت وجبة طعام تعيسة.. ووجدت باتريسيا نفسها تدير الطعام فى صحنها وهى تحاول التفكير بنوع من الخطط. وما زاد الأمر سوءاً أن خوليو كان يراقبها، ويبدو متمتعاً باضطرابها.

وغاص قلبها عندما أعطى خوليو الأوامر لتقديم القهوة لهم فى «صالا دى إيستار» أى غرفة الجلوس، موضحاً فى نفس الوقت إنه يتوقع منها أن تصبها بنفسها. وعندما وصلت إلى غرفة الجلوس وجدت الصينية هناك... وكان الأبرق قديم الطراز وثقيل الوزن، ووجدت صعوبة فى رفعه دون أن تحرق

يدها. وتبعها دايفد ليقف عند الباب ويقول معلقاً:

وعاء جميل.. من الفضة، عمره لا يقل عن مئتى سنة، كما يبدو. وردت عليه باختصار:

لست أدرى.

كانت قد بدأت تلاحظ انشغال باله الدائم بالمال.. وناولته فنجان قهوته... ثم سألته:

متى ستخبر خوليو من أنت؟

لن أخبره. لن أدعى أسم شخص آخر على أساس صورة لم أشاهدها حتى، وقول عن لسان إمرأة قابلتها لتوى... لنفترض أنك مخطئة؟

أنا واثقة أننى لم أخطىء. لقد ذكرت عمتك بالفعل أسم «سالتا» وهى تخبرنى عنك، وبالرغم أنهم يقولون أن لكل إنسان شبيه، فلا أعتقد أن شبيهك يمكن أن يكون فى نفس المنطقة من مجاهل هذا العالم. ولست أفهم، ظننت أنك قد تسر لمعرفتى لك، وأنك ستطمئن لمعرفتك هويتك.

هويتى مجرد لقب.. وإلى أن أعلم برضى كامل إنه اللقب

الصحيح فسأكون مسروراً أن لا تعلمي أحداً، وخاصة خطيبك المستبد.. إضافة إلى أنني، وبدماغ فارغ من أية ذاكرة، أجد صعوبة في الأبتهاج بأي شيء.

وأخذ يتجول في الغرفة، يلتقط تمثالاً خشبياً أو طاسة من الخزف، ويحدق ببضع صور على الجدار، معظمها صور رجال يرتدون ثياباً من أزمنة غابرة.. فقال معلقاً.

هؤلاء بعض أسلاف عائلة لاكروزا.. وكلهم ممن شاركوا في سلب الهنود الحمر، وسحق وجوه الفقراء عموماً. ولقد أثروا جيداً من وراء هذا.

وردت عليه بهدوء

ربما لهذا السبب يحاول خوليو إعادة شئ للمزارعين المحليين بتقديم المساعدة لهم ومن ثم إيجاد الأسواق لتصريف إنتاجهم.

لم أكن أعتقد أنك من مؤيديه، ولكن أعتقد أنك بقرب موعد الزفاف قد قررت أخيراً الأستمتاع بكل ما سيقدمه لك.

بالعكس. فما زلت لا أنوي مطلقاً القبول بالزواج، ومع ذلك

فأنا معجبة بما يحاول خوليو فعله هنا، والاحترام الذى يكنه المحليون له.

وبدا على دايفد وكأنه يعرف عن عائلة لاكروزا أكثر مما يفصح. ولكن كيف يمكن أن يكون هذا وهو فاقد الذاكرة؟ إلا إذا...

قد يكون هذا هو سبب رده فعلهه الغريبة لفكرة العلاج الطبى. فالطبيب ليس من السهل خداعه. وإذا كان يكذب فربما يكون السبب إنه يخفى شيئاً. شئ خطير... ولكن ماذا؟

ودخل خوليو وقال وهو يغلق الباب وراءه:

كم أنتما صامتتان.. إثنان من وطن واحد فى بلاد غريبة.. كنت أتوقع أن أجدكما تتحدثان معاً كالببغاوات.

وقال دايفد:

لقد كنا نتحدث عن زواجكما. ويبدو أن سيدتك تعانى من نرفزة العروسات.

أنا آسف لسماع هذا، ولكن ربما لدى الدواء الشافى...

وتقدم إلى حيث كانت تجلس وقال:

هاك «كواريدا» هدية بمناسبة خطبتنا.

ولس شئ بارد رقبتها، ووجد له مستقر فوق فرجة صدرها تماماً. ونظرت باتريسيا إليه بعجب، وشفتاها منفرجتان بشهقة صامتة.. إنها تنظر إلى قلادة.. ماسة وحيدة كبيرة مصقولة على شكل دمعة.. دمعة واحدة من لهيب متجمد معلق فى سلسلة ذهبية، ولمستها بطرف أصبع غير مصدق لتتأكد من أنها حقيقة.. ثم قالت بأنفاس مقطوعة:

خوليو.. لا.. لا أستطيع.. أستطيع قبولها. أنها ثمينة جداً.

يسعدنى أن أراها ملتصقة بجسدك.. وأتمنى عليك أن تلبسيها دائماً، وهناك أحجار كريمة أخرى سوف أضيفها قرطين لك... ربما بعد ولادة ابننا.

وتعالى اللهيب إلى وجهها، وضغطت على خديها بيديها، وتمتمت محرجة، ونظرت بسرعة إلى دايفد، إلا أنه كان ملهياً عنها يحدق بذهول فى القلادة. ثم قال:

يا إلهى أين وجدت مثل هذا الحجر الكريم؟

على أرضى. فالفاريمبيروز لا يحصلون على كل شئ، أؤكد لك يا أميغو. وقد أرسلتها لتصقل فى سانتافيه.

رائع.. من فعل هذا كان عمله مذهلاً. مرة فى العمر يمكنك الحصول على شئ كهذه. وزوجتك سيدة محظوظة.

وتمتم خوليو:

كم أتمنى أن تشاركك هذا الرأى.

ولم تعد باتريسيا قادرة على الكلام.. لو أن خوليو يظن أنه بأمطار الهدايا الثمينة عليها يمكنه إقناعها بزواج دون حب، فهو مخطئ.

وستحاول أن تجعله يرى، ولآخر مرة، أن الزواج بينهما مستحيل.

يجب عليه أن يتزوج لأجل الحب، وليس لأجل فكرة سخيفة قديمة الطراز عن شرف العائلة. والفتاة التى سيتزوجها يجب أن تكون مركز الثقل فى عالمه، ولا يستحق أن يرضى بأقل من الأفضل.

وتوقفت عن التفكير بعد أن أدركت إلى أى مدى قد

ينجرف بها تفكيرها.. وكأنها تحبه.. وكأنما تريده أن يحبها.. هذا غير صحيح.. لا يمكن أن يكون صحيحاً.. لا يمكن...

ولابد أن صوتاً ما صدر عنها، إذ قال خوليو بحدة:

ما بك؟ هل أنت مريضة؟

فأجبرت نفسها على الأبتسام:

أشعر بنفسي مقهورة. مغلوبة على أمري.. هذا كل شئ. ربما تعذريني بالذهاب.

وأحست بعينيه تخرقانها وهي تسير متجهة إلى الباب دون انتظار، واستدارت عند الباب وابتسمت ثانية، ورفعت يدها ملوحة للرجلين وهما يتمنيان لها ليلة طيبة.

وكان الفراش بانتظارها، وقد رفعت الأغطية حتى منتصفه. فخلعت ثيابها وارتدت ثوب النوم، ولكنها لم تقدر أن ترتاح، وأطفأت القنديل ثم أخذت تذرع الغرفة طولا وعرضاً... في الظلام الدامس...

ما أكتشفته أذهلها تماماً.... لقد أقنعت نفسها مرات ومرات أنها تكره خوليو، حتى أصبح الإيمان بهذا عادة

لديها، وبهذا لم تعد تزعج نفسها بتفحص تضارب المشاعر نحوه.

أنا أحبه.. وبحاجة لأن يحبنى.. ولأن يشاركنى الحياة. ولكن يجب أن تكون المشاركة فى حياته بكاملها، وليس بضع أجزاء منها... يوفرها من إحساس بالمسؤولية. أبداً... هذا لن يحدث...

وتنفست عميقاً وهى ترتجف.. لم يعد بإمكانها التظاهر بعدم الاكتراث وهى بين ذراعيه. وعاجلاً أم آجلاً ستقول الكلمات التى يجب أن لا تقال، فتفضح نفسها تماماً.

ولهذا عليها أن تنجو بنفسها.. مهما كان سيؤلمها هذا. فبقاؤها... وحبها له.. دون مبادلتها ذلك الحب.. سيكون نوعاً من الموت البطئ. فالحب غير المتبادل هو أسوأ بكثير من فدية سوداء يمكن أن تستمر فى دفعها لما تبقى من حياتها...

ورفعت كتفيها وهى تتنهد، ثم خرجت متوجهة إلى الغرفة التى يشغلها الآن خوليو. ودخلت على نية أن لا تصدر صوتاً، ولكن ما أن فتحت الباب وأصبحت فى الداخل حتى رأته

جالساً فى فراشه، فقال بجفاء:

ماذا تريدين؟

أريد التحدث إليك.

لا يجب أن تكونى هنا باتروسا.. فالوقت متأخر. عودى إلى فراشك. وسنتحدث فى الصباح.

لا... الآن أرجوك.

فتنهد وسمعته يمد يده إلى الثقاب ليضئ المصباح إلى جانبه. فبللت شفتيها بلسانها وقالت:

جئت لأرجوك لآخرمرة أن تدعنى أذهب.

وأنت تعرفين ردى مسبقاً.

إستمع إلى... أتوسل إليك. لقد حدثت غلطة.. سوء تفاهم. وهذا كل ما حدث. ولا حاجة لنا لندمر حياتنا معاً بسببها.

أنت تتحدثين عن دمار... وأنا أتحدث عن الزواج.

وكذلك أنا.. إنما فى وقت قادم من الزمن عندما يلتقى أى منا بشخص... قد يحبه.

ولكننى وجدت المرأة التى سأحبها كل حياتى.. وهى لا تريدنى.

لأجل الله يا خوليو.. لا يمكننا التوافق، ولا المضى فى هذا الأدعاء الذى لا معنى له... ولابد أنك تدرك إنه أمر مستحيل؟

أنا لا أدعى شيئاً. أنا بحاجة لزوجة على مائدتى.. وامرأة فى فراشى.. وأنت توافقين متطلباتى.. ولا أطلب أكثر من هذا.

ولكننى أريد أكثر من هذا من حياتى.

وما نوع الحياة التى كنت تعيشينها قبل أن تجيئى إلى هنا؟ فباعترافك لم تكونى أكثر من خادمة.

ولكن كان لى إستقلاليتى.

إستقلالية؟ غالباً ما تكون هذه الكلمة معنى آخر لكلمة الوحدة أعرف هذا لأننى استخدمت الكلمة بنفسى. ولكن لست بحاجة لأن تكونى وحيدة باتروسا.. فهنا لك مكان مشرف إلى جانبى . ولدئ عملى، وبإمكانك مساعدتى.

وأرادت أن تصرخ به: مكان مشرف إلى جانبك دون حب.. سيكون الوحدة القاتلة.. أسوأ من أى شئ يمكن أن أمر به فى حياتى... وهزت رأسها وقالت بصوت مرتجف:

سأكون عاجزة.. فأنا حتى لا أتكلم لغتكم.

بإمكانك أن تتعلمي.. بمساعدة أماندو.

لن ينجح الأمر صدقني.. يجب أن تتركني أذهب.. وبما أننا نستطيع الآن استخدام النهر، فلماذا لا تستغني عن بيدرو ليوم واحد ليعيدوني إلى سانتياغو ديلاستيرو.

مستحيل.

لا.. لا.. ليس مستحيل. أقسم لك أن لا أسبب لك مشاكل. ويمكن لنا أن ننسى كل هذه الأحداث البائسة وراء ظهرنا... ونبدأ حياة جديدة.

وكأنما لم يحدث شيء؟ للأسف يا باتروسا، لقد فات الأوان لهذا. إضافة إلى أن محرك المركب قيد التصليح.

– اوه.. ولكن لابد أن هناك وسيلة أخرى للخروج من هنا. فعليك نقل السكر من المصنع و...

أنت تتعلقين بقشة.. كواريدا.. ويبدو أنك نسيت شيئاً... لا يزال أمامنا أن نعرف ما إذا كنت حاملاً أم لا.

وللحظة، فكرت بأن تكذب، أن تقول له أن لديها برهان قاطع بأنها ليست حامل.. ولكن الكلمات جمدت عند شفتيها. وقالت:

ولكن ماذا بخصوص عائلتك، لابد أنهم أناس مهمين. فماذا سيقولون عندما يعرفون أنك تزوجت فتاة ليست بشئ إطلاقاً؟

لا شك فى أن أمى قد أخبرت حتى الآن كل أقاربنا بما أنويه. وكما قلت لك.. أنا مبعد عن عائلتى.

بسبب.. بسبب الفتاة التى أخبرتنى عنها؟ زوجة أخيك؟

بسببها، نعم.. يوم ما.. ربما أشرح لك.

لا حاجة لك.. أنا.. أنا أفهم...

أشك فى هذا. ولكن ليس من المهم أن تفهمى. على الأقل ليس بعد... ما يهم الآن أنك ستكونى زوجتى.

وهل سيصلح هذا كل شئ؟

إنه البداية.. أنت ترتدين هوية «كارينا» وهناك مثل يقول «الألماس إلى الأبد».

هكذا يقولون.

تذكرى هذا إذن. وصدقينى، باتروسا عندما أقول لك أننى لن أدعك تذهبين.

إذن.. ليس هناك ما يقال.. آسفة لإزعاجك.

وتنهدت مستديرة على عقبيها، وما أن وصلت إلى الباب حتى ظنت أنها سمعته يناديها، ولكنها لم تتوقف، أو تنظر إلى الخلف.

وبالكاد نامت تلك الليلة، فقد بقيت مستلقية تحدق بالعتمة. محاولة تقرير ما عليها أن تفعل. وأصغت السمع أيضاً على أمل أن تتردد صدى الرعد من جديد منذراً بعاصفة أخرى، انفجار جديد لينابيع الغيوم يرفع مستوى النهر من جديد منذراً بعاصفة أخرى، انفجار جديد لينابيع الغيوم يرفع مستوى النهر من جديد ليمنع الزوار من سالتا من الوصول إلى هنا.

ولكن لابد أن هناك طرق للدخول والخروج من هذا المكان، يستخدمها «الكابو كلوس».. أى سكان الداخل.. كى يجلبوا حاجياتهم للزراعة. ويجب أن تجد لها طريقاً توصلها إلى

إحدى تجمعاتهم السكنية، على أمل أن يساعدوها.

ومر يوم آخر حار ورطب، دون إشارة إلى أى مطر قادم. فإذا كانت القدرة الألهية متمثلة بالطقس ليست على استعداد لإنقاذها، فعليها إذن أن تأخذ زمام الأمور بيدها..

وبدأت تفتش فى غرفة القماش والملابس فوجدت بنطلوناً وقميصاً مناسبين، ليسا ما يرتدى فى الأدغال ولكن.. المحتاج لا يمكن أن ينتقى ما يشاء.. الحذاء كان مشكلة فليس فى خزانة الملابس سوى الأحذية النسائية الرقيقة.. وعليها أن تستعير حذاء يناسب الغابات.

غرفة خوليو كانت فارغة، فهى تعرف أن يوم عمله يبدأ قبل الشروق فدخلت غرفته وفتحت خزانته وأخرجت حذاء جلدياً عالى الساقين يستخدمه عادة. ونفضته من الداخل أولاً لتتأكد من عدم وجود أى حشرات فيه.. وكان لها ساقين طويلين ولكن الحذاء كان لا يزال كبيراً جداً. وكان عليها إرتداء جوزين من الجوارب وأن تحشوه بالأوراق كى يناسب قدميها.. وأحضرت قبعة كبيرة كذلك. ونظرت إلى منظرها فى المرآة... ثم خلعت السلسلة الذهبية من رقبتها ووضعتها على

الطاولة بقربه. فلن تأخذ معها إلا الأشياء القليلة التى كانت معها عندما وصلت إلى هنا.

ترك القلادة حيث يمكن له أن يجدها لهو تعبير أبلغ من الكلمات بأنها قد ذهبت ولن تعود.. وكانت تنوى مغادرة الغرفة على الفور، ولكنها وجدت نفسها قرب سريره ويدها تلمس التجاويف التى أحدثها رأسه فى الوسادة... وتكونت على شفتيها كلمات صامتة: يا حبى الوحيد... وداعاً.

الهـــــروب

دايفـيد دودج كـان بانتظار باتريسـيا عندمـا خـرجت من غرفة خوليو، ورمقها بنظرة بطيئة متفحصة من الرأس حتى القدمين وهى تقاوم كى تحافظ على هدوؤها. وسألها بنعومة ماكرة:

هل تنوين القيام برحلة استكشاف؟

أظن أن هذا من شأنى لوحدى.

لا تكونى واثقة هكذا. فالفرص لا تسمح لأى منا أن ينـجو من هنا لوحده. والطريقة المتعلقة هى أن نُضم جهودنا معاً.

ولكنك لم تكن تريد أن تعرف...

فقاطعها:

ذلك كان من قبل. وهذا.. الآن... والأمور تتغير.

وأخذها من ذراعها ليقودها إلى «صالا دو ايستار» ويغلق الباب وراءهما:

ما هي خطتك؟

ليس بالشئ الكثير. لقد فكرت باستخدام المركب الذى وصلت إلى هنا فيه. ولكنه معطل.

فقال بحدة:

كم هذا مناسب... زوجك المستقبلى المتعجرف يفكر بكل شئ. والقرب من هذا النذل على بعد مئة ميل حظ سيئ، لا شك.

وتصلبت باتريسيا، وجذبت ذراعها من قبضته:

لقد أنقذ حياتك.

لا.. يا حبى.. لقد أنقذنى مؤقتاً، وأنا أنوى إنقاذ نفسى

بالهروب من هنا. فهذا ليس المكان الآمن للمكوث فيه.

يبدو أن فقدانك الذاكرة قد شفى بسرعة.. هذا إذا كان موجوداً أصلاً.

وهز كتفيه دون اكتراث:

إنها شفاء معجزة، لا أكثر ولا أقل... إذن... دون قارب يعنى الذهاب عبر الداخل.. وهذا ما يناسبنى أكثر. فعلى أن أحافظ على موعد.

وازداد قلق باتريسيا:

مع من؟

لنقل مع بعض الأصدقاء.

نفس من ضربك على رأسك وتركك؟

وللحظة بدا وجهه بشعاً.. وبجهد كبير استرخى وابتسم:

لا.. لنتفق أن نسأل بعضنا الكثير من الأسئلة، موافقة يا حلوتى؟

فهناك القليل تحتاجين لمعرفته عنى.

فردت بمرارة:

كنت أظن أننى أعرف الكثير عنك.

بفضل عمتى أفريل كما أعتقد. حسناً، لقد كنت دائماً الولد المفضل لديها، ولطف من العجوز أن تترك لى كل شئ. مع أننى لن أطالب بأرثى فى وقت قريب.

ونظرت إليه بخيبة أمل:

ولكن الأملاك بحاجة للعناية، والمحامى تواق لرؤيتك.

وإن يكن. لن أتخلى عن فرصة لثروة يمكنك فقط أن تحلمى بها مقابل منزل وقليل من الأرض.

أية ثروة؟

ولامس وجنتها بأصبعه، ومع أنها كانت حركة عادية، إلا أنها أحست بها وكأنها اللسعة:

ها قد عدت للسؤالات من جديد.. هل سألتك لماذا تهربين من عضو لأحدى السلالات الكبيرة الثرية لآل لاكروزا؟

الصمت منها كان الرد الوحيد... ولكن الفضول تغلب

عليها:

لماذا تدعوهم هكذا.

لأنهم ممتلؤن يا حبيبتى.. حقيقة. فأحد إسلافهم تنبأ بتقلص صناعة السكر فى الأدغال، وغاص فى استثمارات أخرى.. ولديهم شركات مناجم للذهب والألمنيوم، إضافة إلى مزارع للبن فى أجزاء أخرى من أميركا اللاتينية... لذا أقول لك أن خوليو المستبد هو «لقطة».. حتى ولو أنه يعانى مؤقتاً من صعوبات مالية.

فقالت بحدة:

لا أظن أن ما يفعله خوليو هنا يعد من «اللقطات».

آه.. لابد أنه قد أخفى عنك الكثير. أتظنى إنه هنا بملئ إرادته؟ لا يا حلوتى.. هذا نوع من العقاب لأنه أساء لقوانين السلالة. وقصته كانت حديث النهر لسنتين خلتا.. لقد سمعتها فى سانتافية.. ويبدو أن الأمر يتعلق بفتاة.

أعلم.. لقد تزوجت من شقيقه، وانتهت القصة.

وهز رأسه:

أهذا ما قاله لك؟ حسناً.. في الواقع هذا نصف القصة، فمن الواضح أن السيد المهيب خوليو كانت ردة فعله عنيفة لهجرانها له إلى رجل آخر.. وفي الواقع ضبط وهو يحاول فرض نفسه على العروس بعد شهر من الزفاف وتقاتل مع شقيقه... بمعركة عنيفة... وطرد خوليو من منزل العائلة الكبير، وأرسل إلى هنا لقضاء العقوبة, والله وحده يعرف متى سيسمح له بالعودة إلى حظيرة العائلةمن جديد.

وصمت قليلاً، ثم هز كتفيه وتابع:

ربما يكون سعيه للحصول على زوجة الخطوة الأولى على درب العودة الطويل. وهذا ما يفسر الكثير من تصرفاته معك، فأنت جزء هام من إعادة تأهيله الأخلاقية. أم ظننت إنه وقع في غرامك؟

وأجفلت باتريسيا للهجته الساخرة:

لا.. لم أظن هذا مطلقاً. ولكنني لست مستعدة لأكون.. عوناً له على رستعادة احترامه.

وماذا كنت تنوين فعله؟ أن تخرجي من هنا.. هكذا؟ وإلى

أى مسافة ستبتعدين؟

فردت باختصار:

لست غبية لهذه الدرجة... ولكننى لم أشاهد أية مركبة منذ وصولى إلى هنا، ما عدا «الجيب» الذى يقوده خوليو بنفسه. مع إننى أعتقد أن هناك غيره يستخدمه العمال... وكيف وصلت أنت إلى هنا؟

لست أذكر.. وهذه حقيقة.

حسناً.. المكان الأفضل للبحث هو فى المزارع، ولكن خوليو هناك. وإذا شاهدنا سوف يرتاب بنا.

هذه ليست مشكلة، فقد عرفت أنه ليس فى المزارع اليوم. فهو مشغول فى مكان آخر

وكيف عرفت هذا؟

عليك تصديقى فقط. أتعرفين الطريق للوصول إلى المزارع وكم تبعد؟

- ليس بالضبط ولكننى أعرف الطريق التى يسلكها يوميا".

- هل يجى العمال كثيرا" إلى المنزل؟

- عندما يكون خوليو هنا. أو للمعالجة الطبية على يد مارغريتا.

وماذا عن الولد الذى يترجم لك؟

- يأتى تقريبا" كل يوم.

- وكيف يأتى إلى هنا؟

- لست أدرى.. لم أفكر أبدا" أن أسأل.. وكنت أظن أننى لست غبية؛

- إنسى أمر ادانة نفسك الان. أتتوقعين وصولة اليوم؟ فبدونة قد نبقى عالقان هنا.

ومرت ساعتان دون ظهور أماندو. وبمضى الوقت زادت أعصاب باتريسيا توترا" فقد كانت تزداد خوفا" من عودة خوليو فجأة .

واقع انها ستهرب منة لن يساعدة فى حل قضية، ولكنها لن تتحمل أبدا" أن تترك نفسها تفكر بالامر كثيرا" فهو يستغلها، وهذا ما يجب أن تتذكرة... إنة يستخدمها لانها

تواقف متطلباتة.. أما العواطف.. المشاعر.. الاحلام.. فلا مكان لها فى حياتة، لان كل هذا ملك لفتاة أخرى

وأعادت انتباها لدايقد كان مضطربا وكأنة الحيوان السجين. وبدأ متوترا" أكثر منها ولاشتراك معة هو ثانى أمر غير حكيم ستقوم بة فى حياتها فهو ملىء بالمشاكل من رأسة حتى أخمص قدمية. ولاشك فى تورطة بأمر غير قانونى.

وكانت تفكر بطلب القهوة مرة أخرى عندما دخل أماندو وقال لها قلقا بإنكليزيتة المكسرة:

- سنيوريتا.. شىء خطأ.. هناك؟

- وهل وصلت لتوك أماندو؟ كيف جئت إلى هنا؟

- فى شاحنة ابن عمى، كالعادة سنيوريتا.. إذا تأخرت.. آسف.. ولكن..

وقاطعة دايقد

- لايهم.. ألايزال ابن عمك هنا؟

- «سى» سنيور.. هو يتكلم مع مارغريتا.

- هذا جيد.. نستطيع التحدث إلية أيضا"

وأمسك بذراع باتريسيا وقادها نحو الباب ، فهمست لة:

- على إحضار حقيبتى.

- فلتذهب إلى الجحيم.. الشاحنة أكثر أهمية من أشياءك

وكانت الشاحنة متوقفة وراء سياج الحديقة الخليفة للمطبخ وكانت فارغة والمفاتيح فيها فتمتم دايقد:

- هذة أول صدفة حظ لنا. أتمنى ن تكونى على معرفة بقيادة هذة الالة اللعينة.

- أجل..

ولدهشتهما، دار المحرك عند أول جهد.. وهما يبتعدان بها لمحت باتريسيا بيدرو يظهر عند الباب الخلفى للمنزل ومارغريتا إلى جانبة.. ولو لم تكن يائسة ومتوترة لضحكت ملىء فقد خلع بيدرو قبعتة ورماها إلى الارض وأخذ يقفز عليها، وقال دايقد:

قودى الشاحنة إلى المزارع وسوف أفكر بوجهتنا انطلاقا من هناك

- كان يجب أن تحضر خريطة.

ـ لقد فعلت.. يستطيع خوليو أن يستغنى عنها فلدية العشرات منها فى مكتبة.

ـ ما كان يجب أن تدخل إلى هناك.. إنة مكان شخصى...

فضحك بسخرية:

ـ وما رأيك..؟ بالتأكيد لم أستطع ترك جهاز الارسال لة ليلاحقنا بة؛

ـ وهل خربتة؟ ولكن المنطقة كلها تعتمد علية افترض أنة حصل طارىء ما؟

ـ ضرورياتى تأتى بالدرجة الاولى. أتظنين أننى قد اهتم بما يحدث لحفنة من زراع قصب السكر ولسيدهم المبجل؟ نحن لانلعب يا حبيبتى؛

ـ لاتنادينى هكذا

ـ وما الاسم الذى تختارينة.. باتروسا؟

ـ لا..

فضحك:

ـ لو لم أكن أعرفك سنيوريتا لقلت أنك غارقة بحب ذلك

الابن الضال لعائلة لاكروزا.

- اوة.. دعنى وشأنى.. أنت لاتريد أن أسألك ، وكذلك لا أريد أن أسمع وجهات نظرك.

- كما تشائين.

وبدا إنهما يختفيان فى وسط نفق واسع أخضر. وأحست أنها لو نظرت إلى خلفها فستجد أن الغابة قد أطبقت عليهما من الخلف لتستوعبهما فى عالمها من الاشجار الضخمة الطويلة... بحيث يضيعان إلى الابد... ولكن طالما هى تتبع مسار النعر فلن تضيع أبدا.

وأحست بالراحة عندما لاحظت خطا رفيعا من الدخان يتصاعد فوق الاشجار ، وعلمت أنهما يقتربان من بعض المنازل. وكان المجمع السكنى حيث يسكن العمال أكبر مما تصورت. وكانت النساء تقفن عند أبواب الاكواخ والاطفال يلعبون بين أقدامهن. وعندما شاهد الاطفال الشاحنة أخذوا يصيحون ويقفزون فقال لها دايقد:

- إستمرى فى السير لاتبطئى من سرعتك.

- أظنك تريدنى أن أسير فوقهم. لم أكن أدرك أننا

سنسترعى الانتباة هكذا، وسوف يبلغون خوليو الان بوجهتنا.

وهز دايقد كتفية:

حتى ذلك الوقت نكون قد ابتعدنا عن منالة.

ونظرت إلية باهتمام:

- أتظن أن «الكابوكلزر» لن يتمكنوا من اختفاء أثرنا؟

- ليس أبعد من حدود المطار.. إلا إذا كانت لديهم أجنحة

- أتعنى أننا سنطير من هنا؟ ولكن هذا مستحيل... لاشيء يحط أو يطير من هنا.

فابتسم:

- إنها رحلة مجدولة بموعد مسبق.. ونفس الطائر كانت توصلنى وتأخذنى من هنا منذ وقت طويل.

- للتفتيش عن الذهب؟

- لقد جربت هذا لفترة، ولكنة عمل شاق. وأنا الان أعمل كوسيط

ومسحت عيناها:

- وهل أنت متورط مع «الغاريمبيروز» المغامرون غير

القانونيون؟ لقد أخبرنى خوليو عنهم وحذرنى منهم

فضحك ثانية :

- أنا واثق إنة فعل.. ولكن تحت سمعتهم، هم رجال عاديون يحاولون جنى الثروة.. وأنا أشترى الاحجار الكريمة الخام منهم. وآخذها إلى قاعدتى فى سانتافية.

وصمت للحظات.. وعندما عاد إلى الكلام كان صوتة رفيقا، وكأنة صوت العاشق:

- ليس لديك فكرة عما تفعلة تلك الاحجار بالانسان.. لقد مر على أحجار جمشت بحجم يدك... وأحجار توباز بحجم البرتقالة أو يداخلها الدخان وكأنة الضباب ، والماس، صافية كالماء... وكانت الافضل وكأنها المرايا لروح الانسان

- هذا شاعرى. وأظن أن هؤلاء الرجال البسطاء هم من جرحوك وتركوك مريضا" بالملاريا.

- إنة اختلاف صغير على العمولة. وهذه الامور تحدث ، حتى فى أحسن الاوساط. ولكنها تعنى للاسف ، أن عملى هنا قد شارف على نهايته.. وسأغادر هنا إلى الابد.. سأذهب إلى «تشيلى» وهذا ما أحبه فى أميركا الجنوبية، فيها العديد

من البلدان، والعديد من الفرص.. أمام « المقاولين»

ـ أهكذا ترى نفسك؟ كنت أظن أن كلمة «مهرب» هى الافضل.

ـ لك لسان لاذع ياحبيبتى. أنصحك بأن تكونى حذرة فى استعمالة فمن أعمل معهم ليس لديهم روح مرحة.

وظهر أمام الشاحنة فجأة رجل يلوح بيدية.. فصاح بها

ـ لاتتوقفى؛

ونظرت إلية نظرة احتقار ، وداست على المكابح بحدة.. وكان الرجل هو انطونيو، المسؤول عن العمال ، وما أن فتح باب الشاحنة حتى أندفع سيل من الاسبانية من فمة.. فقاطعتة باتريسيا:

ـ نو بيرسيو.. آسفة، لا أفهم ما تقول،

فقال لها دايقد:

ـ يقول أن زوجتة ستلد الان قولى لة أننا سنرسل لة سيكارا" وحركى هذة الشاحنة اللعينة.

ـ ولكن هذا يعنى آنابيلا؛ اوة.. يا إلالهى ، لهذة السبب جاء بيدرو إلى المنزل.. ليحضر مارغريتا.. لاجل ولادة الطفل.

هؤلاء الناس يفقصون الذباب.. فما سبب كل هذا الأهتمام؟

برودته أغضبتها

- أطفالها كلهم ماتوا وهى تلدهم.. لذا تحتاج إلى مارغريتا.. إنها «قابلة» جيدة، ولولم نأخذ الشاحنة لكانت هنا الان ، تعتنى بانابيلا..

- أنت تؤلمين قلبى.. تحركى الان

- لن أفعل.. فهناك حياة طفل فى خطر وانطونيو رجل طيب.. أكثر عمال خوليو أهل للثقة . وهو يستاهل أفضل عناية بزوجتة وسأعود إلى المنزل الاحضر مارغريتا.

- اوة.. لا.. لن تفعلى هذا لقد عملت أنك ستسببين المشاكل لذا أخذت معى رهينة.. لذا تابعى رحلتك

وأخرج من جيبة قميصة قلادة الالماس، وأظهوها لها وضربت أشعة الشمس عليها لتحولها إلى قطعة من نار.. فأحست باتريسيا بضيق تنفسها:

- من أين حصلت على هذة؟

- لاحظت أنك لاترتدينها ففتشت عنها. وسميها أجرة طائرتك للخروج من هنا

- لن استقل أية طائرة. ولن أسافر مترا" واحدا" معك أنت الان وشأنك.. وأنا شاكرة للة أن عمتك لن تعرف ما أنت علية

- وفرى عواطفك.. أبقى هنا والعبى دور «دونادى كانسا» السيدة المنقدة.. إذا كان هذا ما تريدين.. ولكننى سأبقى الماسة خوليو.. وأظن أنك مدنية لى بها، بدل المال الذى سلبتية من عمتى أفريل، أيتها العاهرة.

واندفع نحوها، ليرميها من باب الشاحنة المفتوح، ثم ضربها على وجهها بيدة، فصعقها الالم، وأحست بطعم الدم فى فمها ثم فقدت توازنها ووقعت إلى الخلف، وأمسكت بها يدان قويتان وسمعت صوت انطونيو يصيح:

- سنيوريتا.. ميوديو... ياإلهى.. سنيوريتا باتروسا؛

ووجدت نفسها ملقية على الارض والشاحنة تبتعد بداقيد وأنطونيو يجرى خلفها يلوح بقبضتية ويصيح، فنادتة بأعلى صوتها:

- «قينى كا» أنطونيو.. إرجع إلى هنا.

وأطاعها بمضض ظاهر.. وبدا علية الضياع بين قلقة عليها وقلقة على أنابيلا... وسألها وهو ينظر من حولة وكأنة يبحث عن شيء :

ـ مارغريتا؟

ـ «ديسكولب» انطونيو.. ليس هنا.

وبدا علية أنة على وشك البكاء.. فوضعت يدها على ذراعة.

ـ سنرسل أحدا" يجيء بها.. « اوندى » أنابيلا؟

وكان لانطونيو أكبر منزل فى المجمع السكنى، وأثاثة بيسط ونظيف جدا" وكانت أنابيلا فى السرير فى الغرفة الداخلية ، تتلوى من جانب إلى آخر، متأوهة من بين أنفاسها، وإمرأة مسنة تجلس فى زاوية الغرفة تدمدم شيئا بدا وكأنة التعاويذ، وفتاتان شابتان تقفان قرب السرير بعجز واضح .

وحدق الجميع بباتريسيا وهى تدخل، فحاولت الابتسام لتطمئن المرأة الحامل.. وكان انطونيو قد أدار سيارة جيب قديمة وانطلق نحو المنزل الكبير ، مع أن باتريسيا واثقة أن بيدرو ومارغريتا قد بدا الان السير نحوهم.

ومن الغريب أن وجودها كان له تأثير مهدىء ، فقد توقفت أنابيلا عن التلوى، وأمسكت بيد باتريسيا، وكأنها حبل السلامة، وتذكرت باتريسيا أنهم يطلبون دوما ماء ساخنا فى مثل هذة الحالات.. فقالت للنساء «اكوا» فوقفتالعجوز بسرعة وعادت بوعاء من الماء البارد

حسنا.. أهذا أفضل من لاشىء من لاشىء وغمست منديلها النظيف فى الماء و؟أخذت تمسح فم أنابيلا به، وكانت المرأة خائفة جدا".. وجسدها المنتفخ مبتل بالعرق، وتنفسهاغير منتظم.

فانحنت فوقها، تضغط برفق على أصابعها وهمست:
ـ كل شىء سيكون على ما يرام أنابيلا.. سوف ترزقين بصبى.. صبى كبير ممتلىء الصحة.. ستكونين بخير.

وتابعت كلامها برقة محافظة على رتابة صوتها، وكأنها تنومها مغناطيسيا. وبدات حرارة الغرفة تشتد، وبدات تشعر بقطرات العرق تتساقط على أنفها، وتجرى على صدرها وكتفيها.. وتراجعت النساء الاخريات إلى الباب ووقفن يراقبن.. بحيث كانت مع أنابيلا لوحدهما تقريبا"

وتأوهت أنابيلا ثم صرحت وأخذت تتلوى.. فمسحت جبينها مهدئة وهى تقول:

ـ لاباس.. سوف تحضر مارغريتا فورا".. لن تتأخر.

وبالطبع لم تفهم أنابيلا ما كانت تقولة.. ولاحظت أن مرحلة أخريمن مخاض المراة قد بدا.. وحاولت أن تتذكر ، يائسة، كل ما عرفتة من من مخاض وأمها، وتمنت لو أنها أصغت إليهما أكثر.

واشتدت قبضة يد أنابيلا على يدها.. وحاولت أن تجلس وبرزت الشرايين من جبهتها.. اوة يا إلهى.. الطفل سيولد... الان؛ ماذا أفعل..؟

والتفتت إلى النساء عند الباب وقالت بحدة؛

ـ كم أنتما مساعدات.. «فيناسا»

ولكنها توقفت عن الكلام ، فقد صدر عن أنابيلا صرخة وكأنها الزمجرة، نصف صرخة ألم ونصف صرخة انتصار... وتحركت باتريسيا بسرعة وخوف إلى أسفل السرير.. فى الوقت المناسب لتلتقط الطفل... أحمر... منزلق.. وصبى.. بين يديها.

واستلقى الطفل بين يديها للحظات يلوح بيديه ورجليه وكأنة يفتش عن دفء وأمان أحشاء أمة، ثم فتح فمة وصرخ، وملات صرخة الغضب الغرفة كلها .

والدموع تنهمر من عينيها، مسحت لة باتريسيا فمة وأنفة، ثم وضعتة بين ذراعى أنابيلا.

وسمعت ضجة فى الغرفة الخارجية، ودخلت مارغريتا وأنطونيو خلفها.. وتفرست فى الفتاة الشاحبة المستلقية فى السرير ووجهها رغم باتريسيا، فأفلتت منها شهقة فزع وبدات تلقى سيلا من الاوامر والكلمات التى لم تفهمها، وأطاعت العجوز وهى تخرجها من الغرفة لتتولى زمام الامور بنفسها.

وأقبل أماندو إلى جانبها ووجهة مرتبك :

ـ سنيوزيتا.. أنت هنا.. الباترون.. إنة يظن أنك هربت... وتبعك.. يفتش مع الكثير من الجنود.

وقالت بلطف:

ـ لا بأس أماندو.. أنا سالمة.. كما ترى.

وبعد قليل أقبل أنطونيو إليها، يبتسم بفخر.. وأخذيدها

ليقبلها، وانفجر فى كلام عاطفى لم تفهمة. وترجمة لها أماندو:

- إنه يشكرك سنيوريتا لسلامة ابنه.. وكذلك ستفعل أنابيلا... لو دخلت إليها،

- ولكننى لم أفعل شيئا.. كنت إلى جانبها.. فقط ورافقها أنطونيو مجددا إلى الغرفة الداخلية، وكانت أنانيلا تهدهدالطفل بين ذراعيها، ووجهها ملىء بالحب، وهمست وهى ترفع اللفافة لها:

- اوبريغادا سنيورا.. (ممتنة جدا)

وحدقت باتريسيا بوجة الطفل الغاضب.. ومدت أصبعها وأحست باليد الصغيرة الرقيقة تمسك بة بشدة وفى تلك اللحظة بالذات، علمت وبالغريزة، ودون أى سؤال.. أوشك ،.. أنها تحمل طفل خوليو داخلها. وضاق تنفسها بشكل لم تستطع السيطرة علية

ماذا يمكن لى أن أفعل؟

ياإلهى.. ما أستطيع أن أفعل؟

عودة إلى العش

التزمت باتريسيا الصمت فى طريق عودتها إلى المنزل فى سيارة الجيب كذلك مرافقوها، فسعادتهم بسلامة مولود أنطونيو غلب عليها قلقهم على خوليو.

مع أنها غطت نفسها إلى درجة ما بتصرفها السريع كقابلة لانابيلا، إلا أنها كانت تشعر بالخزى لمساعدتها دايقد دودج على الهرب... «ذلك الحقير» كما قال عنه أماندو ، وبذلك عرضنت خوليو لخطر ملاحقيتة فى الادغال.

وهو الان فى خطر الوقوع بين نارين لاطراف الحرب القائمة منذ شهور بين الغاريمبيزوز، والمتعاملين بالمهربات

الاثرياء فى سانتاقية، الحرب التى جرح فيها دايقد دودج، والكثيرمات ، والتى صممت السلطات العسكرية أن تضع لها حدا"، مع كل عمليات التهريب وعصاباتة

ولكى ينقذ نفسة كان «الاميركانو» سيتكلم.. كما قال لها أماندو ، وكان سيأخذ الجنود إلى مخابىء الغاريمبيروز السرية وإلى مدارج هبوط الطائرات فى الادغال أما الان وقد نجا.. فسوف يحذر رفاقة... الكومبادرى.. فى كلا المعسكرين. لذا فستتغير خطتهم.. وستستمر الحرب وسيقع المزيد من القتلى وقالت باتريسيا مدافعة عن نفسها:
- ولكننى لم أستطع منعة من سرقة الشاحنة

- بيدرو كان يقدر... ولكن وجودك سنيوريتا.. منعة من استخدام بندقيتة.

وكان المنزل صامتا أيضا"، ومهجورا" بشكل غريب، ولم تكن الخادمات يغنين وهن يعملن ولم يكن يصدر عن المطبخ أصوات الضحكات والحديث الذى أصبحت معتادة علية

ودخلت غرفة خوليو وجلست على حافة السرير.. كل هذا

بسبب غلطة.. فمن أثر رغبة عصفت فى ليلة، قد يأتى طفل ربما لن يعرف أباة. هذة مهزلة مأساوية منذ البداية كوميديا من الاخطاء انقلبت فجأة إلى «ميلودراما» وهى الان تتجة نحو المأساة.

ورفعت رأسها إلى السماء، ويداها مشبوكتان على صدرها:

- إرجعة لى... أرجوك ياإلهى.. أرجعة لى سالما.. وساكون لة حسب أى شروط يختارها.

وتسلقت إلى السرير، ودفنت وجهها فى الوسادة، تسعى إلى أى شىء يذكرها بة، بقايا رائحة جسدة ، أوماء الكولونيا التى يستخدمها... ولكنها لم تجد شيئا حتى الراحة.

وبقيت كما هى متكورة، وكأنها حيوان صغير يسعى إلى الامان، ومرت الدقائق، والساعات، وغطت فى النوم.

واستفاقت مرعوبة من كابوس مر فى حملها، وجسدها كلة مبلل بالعرق. فجلست ترتجف... وشاهدت، فى ضوء النهار الذى أخذ يتلاشى، خوليو يراقبها من الباب.

وللحظات بدت أنها لن تنتهي، حدقا ببعضهما بصمت. ثم

قال بهدوء:

ـ لماذا عدتى؟

وببطء أرجعت شعرها عن وجهها... وقالت:

ـ أنا.. أنا لم أهرب فى الحقيقة. ألم يقولوا لك؟ وصلت إلى المجمع السكنى.. وكانت أنابيلا تلد.. فبقيت سوف يسمونة باتروس، ليتشابة مع إسمى.

وحرك يدة، وهو يعبس وكأنة يتألم:

ـ لقد ذهبت.. ذهبت معة «الاميركانو» القدر سرق الشاحنة وأخذك معة .

ـ هذة كانت النية أصلا.. أجل.

ـ ما إسمة؟ كنت تعرفية أليس كذلك باتروسا؟

كنت تعرفية...

ـ أجل.. بطريقة ما إسمة دايفد دودج.. أخبرنى.. لقد استخدمت صيغة الماضى.. هل.. هو؟

ـ أجل لقد مات.. أصيب بالرصاص.

- هل أنت من قتلة؟

- لا.. لقد قتل وهو يركض نحو طائرة.. شخص ما على متنها أطلق علية الرصاص من رشاش... يبدو أنهم المهربون. فلم يعدلهم حاجة بهِ.

- فهمت...

وتذكرت صورة الشاب الجميل بقرب عمتة، فاختنقت بالدموع. فقال لها بصوت رقيق، وكأنة صوت من بعيد:

- قلت لى مرة أنك جئت بحثا عن رجل.. هل هذا هو.. الاميركانو؟

- أجل.. ولكنك لن تفهم...

- وماذا هناك لافهم؟

- الكثير.

وكم كانت سخافة لتعيد القصة.. ثم قالت:

- أرأيت.. أنا لم أعرفة حقيقة.

- ومع إنة كاذبة ومجرم فقد اهتممت كثيرا" بمساعدتة على

الهرب لقد وثقت على حياتك معة...

- كان يفترض بة أن يساعدتى.. ولكن كل شىء سار بطريقة خاطئة وكان على أن أعرف أنة خطر، ولايوثق بة.. ولكن يبدو أننى رغبت فى إطالة عمر الوهم قليلا.

فابتسم:

- آه.. الوهم.. هذا يا كواريدا ما أفهمة.. فقد عانيت منه بنفسى. ولكننى لم أعد غداً" عندما تصل المركب من سالتا، سأعيدك مع الاب غوميز، وسيوصلك إلى سانتاقية سالمة أو إلى سانتاقية سالمة أو إلى حيث تشائين.

- وهل ستتركنى أذهب؟ لماذا؟

- لاننى، وكما قلت بنفسك أكثر من مرة ليس لى الحق بأن أبقيك هنا رغم إرادتك.. وبما أنك كنت على استعداد للهرب مع رجل آخر ، فلاأظن أن عائلتى، ومن هم فى بيتى، يعتبرون أننى ملتزم تجاهك بعد الان.

- ولكن الامر ليس هكذا خوليو.. أرجوك أن تصغى إلى...

ووقفت.. فنظر إليها وهو يهز رأسة :

ـ لا.. لقد سمعت الكفاية. وهذا بالفعل هو عالم اليوم بجشعة وعنفة. ومن السخف محاولة العيش حسب تقاليد الماضى. أو محاولة.. كما قلت ،.. إطالة أمد الوهم... لذا فأنت حرة.

ـ خوليو.. أرجوك لاتفعل هذا..

ـ وهل هناك شىء يمنع؟ هل أنت خائفة أن أدعك تذهبين خالية الوفاض؟ لا «كاريتا» لاتخافى.

ومدلها يدة:

ـ هذة سوف تغطى لك كل المصاريف... وقلة الراحة التى مريت بها..

وتقدمت منة بسرعة، وهى تبحث بيأس فى وجهة عن الابتسامة.. حتى ولو فى عينية، وقالت:

ـ لا أريد شيئا خوليو.. ما عدا أن تصغى إلى وتصدقنى.

ـ ولكن يجب أن تأخذى هذة.. إنها الهدية التى صنعتها لك.

وشاهدت باتريسيا لمعان الالماسة البارد فى راحة يده...

وتابع قائلا:

- ضابط الجيش وجدها مع الأميركان... واقترح عليك لو كنت راغبة فى إهداءها لاحد مرة أخرى، أن تجدى من يستحقها.

آخر كلمات قالها كانت مرتجفة، وشهق قليلا ، فانفرجت شفتاها رعبا" وهى تشاهد ساقى خوليو تنهاران، وبدا يتزلق إلى الاسفل ببطء أكرة الباب إلى الحاجب، ثم إلى الارض، ليتمدد هناك وانزلقت السترة عن كتفة، وبصدمة لاتوصف لاحظت بقع دم سوداء تنتشر على قميصة.

وبدات تلوح براسها من جانب إلى آخر برفض صامت لحقيقة ماتراة، وتهمس باسمة... وعندما وصلت مارغريتا وبيدرو والاخرون وعندما فقط أدركت أنها كانت تصرخ.

- الرصاصة فى الكتف سنيورينا، ويجب أن تخرجها يجب أن تسرع سنيوريتا.. دون خوليو يفقد كثيرا" من الدم.

- إذن الافضل أن نبدأ...

وتقدمت حيث وضعة الخدم فوق السرير وقال أماندو بصوت منخفض بقريها:

- إنه يقول، لا، لبيدرو، لا لمارغريتا.. وضعه سيئ.. لقد قاتل طوال حياته.. والآن لا.. لم يعد يقاتل.

وصاحت باتريسيا بشراسة:

- سنرى... أخرج الجميع من هنا ما عدا بيدرو ومارغريتا.

وجلست على حافة السرير، ووضعت فمها على أذنه وقالت له هامسة:

- سوف تقاتل.. أتسمعني؟ لن تستلم.. فالكثير يعتمد عليك والعديد من الناس. تقول أنك تريد طردي من هنا.. حسنا.. بإمكانك أن تقول لي هذا مرة أخرى عندما تستعيد قوتك. فحتى ذلك الوقت أنا باقية، وأنا من سيتخذ القرار.

وفتحت العينان السوداوان، وقال بصوت مختنق:

- ناو.. ناو.. باستا.. بودوآر. (يكفي.. أخرجي من هنا)

فردت علية بثبات:

- لن يذهب أحد من هنا.

ونظرت إلى بيدرو وأشارت إلية بالتقدم، ولمحت النصل

الفولاذى الساخن فى يدة.. فشدت على أعصابها،

وتراجع خوليو فى الفراش ، مبتعدا عن بيدرو.. ولكنة انهار ثانية وهو يتأوة «ناو».. وقال أماندو:

- سنيورا.. باترون لايتحرك.. يجب أن تمسكية جيدا لبيدرو.

ومع ضعفة، فقد كان أقوى منها بكثير.. وكان الجميع يراقبها ووجة بيدرو قلق وهو ينتظر. وانفرجت شفتا خوليو متأوها من الالم، فتبعت باتريسيا غريزتها، وصعدت إلى الفراش لتستلقى إلى جانبة وقالت بهدوء

- كلما نامارادو.. (إهدأ ياحبيبى)

وأمسكت رأسة بين يديها ووضعت فمها عن قصد على فمة.. وكانت المرة الاولى التى تبادر فيها بتقبيل رجل فى حياتها.

وللحظات همد خوليو وسكن وقد لايكون مستجيبا لها ولكنة على الاقل لم يكن يدفعها عنة.. وانحنت فوق أكثر، وضغطت بصدرها على ذراعة المصابة.

وأحست بيبادرو يتقدم، فأغمضت عينيها وعمقت قلبتها تمتم بأصوات لذيذة على فمة وتمتمت وقد أحست بجسدة

يرتفع كالقوس من الالم.

ـ لاباس ياحبيبى.. كل شىء سيكون على ما يرام

ولاحظت بسخرية إنة الوعد الثانى الذى نقطعة خلال أربع وعشرين ساعة. وفى كلا المرتين كان وعد للحياة وبالنسبة لانابيلا تم الامر بسلام.. فيا إلهى.. أرجوك.. أن ترفع الضيم عن خوليو أيضا..

وملست شعرة المبلل بالعرق؛

ـ كل شىء على مـــايرام... ولكن أبقى هـادئـا.. أرجـوك لاجلى.. واستطاعت سماع أنفاس بيدرو المحمومة وهو يعمل. وصوت مارغريتا المخنوق بالعبرات وهى تتمتم بسيل لاينقطع من الكلمات... ربما تكون صلاة.

وأمسكت بخوليو بقوة وأبقت فمها ملتصقا بة تخفف من الاهات التى تصدر غضبا عنة، محاولة أن تنفخ بعضا من حياتها إلى رئتية

وسـمـعت صـوتا يصـدر عن بيـدرو يدل على الانتـصـار وأحست بجسد خوليو يرتخى بين ذراعيها. فرفعت رأسها

لتنظر إلية وعيناها مغشيتان بالدموع وصاحت بجنون:
- لقد قتلتة.. لقد مات؛

- ناو سنيوريتا.. تقول مارغريتا أنك فعلت الكفاية... إرتاحى الان

- أريد أبقى معة

- تقول مارغريتا أن سنيور يرتاح أيضا.. تعطية شراب خاص من الاعشاب.. يجعلة ينام.. ولك.. أيضا.

وأمسك أماندو يدها بحزم، ولكن باحترام وساعدها للنزول عن السرير، وبطريقة ما وجدت نفسها فى غرفتها.. ولكنها لم تستطع أن

لقد جاء بها القدر إلى هنا لتجدة.. وبالتاكيد لن يكون هذا القدر دون رحمة لان يأخذة منها بعد أن أصبحت الان مستعدة لان تعترف ما يعنى لها خوليو بالضبط

كان النهار قد توضح عندما أفاقت فى اليوم التالى، بعد أن هزتها يد مارغريتا. فجلست بسرعة.

- ما الأمر؟ سنيور؟

- سى..

وأحست برعب مؤلم وهى ترتدى رداءها بسرعة؛

- ماذا حدث؟ هل ساءت حالة؟

وهزت مارغريتا كتفيها غير فاهمة. ثم نزعت الروب منها مشيرة أن عليها أن ترتدى ثياب النهار...

- هل أنت مجنونة، إذا كان الامر اضطراريا فأدى شىء يكفى.

وأحست بالغيظ ومارغريتا تناولها ثيابها ثم تعطيها فرشاة الشعر.. لايمكن أن تصدق تصرفاتها.. قد يكون خوليو مريضا" جدا".. أو إنة سيموت.. وها هى تعارضها على ارتداء الملابس وترتيب شعرها؟

وما أن خرجت من غرفتها حتى وقفت مارغريتا ثانية تسد لها الطريق مشيرة إليها لتتبعها فى الاتجاة الاخر، نحو غرفة الجلوس.

- ولكننى أريد الذهاب إلى السنيور.

- سى.. سنيور دى لاكروزا.. سى.

وهى لاتزال تمسك بذراعها اندفعت مارغريتا بحديث

متواصل، ثم فتحت باب «الصالا» وتقريبا".. دفعت باتريسيا إلى الغرفة.

وواجهها، رجلان، كلاهما غريب ، وللحظة جمدت.. تتساءل ما إذا كانا من البوليس، أتيا لاعتقالها لمساعدتها دايفد دودج. ثم وجدت أنهما يبتسمان. فرفعت رأسها وقالت:
- كوم أى أو سينور؟ (أين السيد)

ونظرت إلى الاطول قامة من الاثنين:
- كوى كوير؟ (من أنت)

وتقدم منها الرجل، كان لباسة رسمى أكثر مما أعتادت أن تراة.. إنة يذكرها بشخص ما.. وانحنى لها قليلا"
- سنيوريتا بالمر. هذا شرف لى.. إسمحى لى أن أقدم نفسى.. أنا رودر دى لاكروزا.

وفتحت فمها من الدهشة.. لاعجب إنة بدالها مألوفا... واستطاعت الان أن تلاحظ الشبة.. ولكن ، هو من بين كل الناس فى الدنيا.. ماذا يفعل هنا؟

- كيف حالك

وصافحته بأدب، وهى تنظر بقلق إلى الرجل الاخر. الذى كان دون شك أكبر عمرا.. فقال لها رودر يغو:

ـ هذا الاب غوميز، الذى كنتم تتوقعون وصوله كما أظن

فشهقت، ففى خضم ما حدث نسيت أمر المركب الذى سيحضر الكاهن من سالتا... وسألت:

ألم يكن مفروضا أن يصاحبه طبيب؟

ـ دكتور لورانزو مع أخى الان.

وأحست بار تياح حقيقى بدا فى ردها:

ـ هذا رائع أنت تعرف بالطبع.. الابد أنهم أخبروك ما حدث وكيف أصيب خوليو بالرصاص؟ أخشى أن تكون رحلتك دون فائدة يا أبتى؛

ـ دى نادا سنيوريتا.. (لابأس) أنا آسف لان الزواج لن يتم الان ولكننى سعيد لانكم لم تحتاجوا إلى فى شىء آخر.

وأطرقت برأسها إلى الارض:

ـ لسنا متأكدين بعد.. بيدرو انتزع الرصاصة. ولقد نزف

كثيرا" من الدم.

وهز رودريغو دى لاكروزا برأسة وقال:

- أخى.. أننى ألوم نفسى. فلولاى.. لما كان هنا.. ولما حدث لة هذا الشىء الفظيع.. كل ما أتمناة أن يغفر لى.

ونظر إلية الكاهن بحدة:

- رجل مثل خوليو لن يتأثر من رصاصة فى كتفة أميغو... وسوف يعيش كى تضعا حدا" لخصامكما.. أؤكد لك.

وتأوة رودر يغودى لاكروزا وقال:

- شكرا" للة.

- كما يجب أن تقول فى كل ساعة من كل يوم.. لابد أن الدكتور لورانزو قد انتهى من فحص المريض.. وعلينا أن نزورة.. من بعد أذنك سنيوريتا.

- بالطبع.. أرجوكما أن تأتيا معى.

واستقبلتهما مارغريتا بوجة صادم، ولكنها ابتسمت لباتريسيا ورتبت

ذراعها فسأل رودر يغو بصوت منخفض:

ـ كيف حالة؟

فجاء الرد بالانكليزية من الدكتور لورانزو.

ـ إنة بحاجة للراحة، والعناية، ومضادات الالتهاب التى أعطيتها لة.. ولكن أهم من كل هذا الراحة ، لذا أعطيتة مسكنا قويا...

فقال رودريغو:

ـ هل لى أن أكلمة؟هناك الكثير أود قولة لة

ـ وهناك وقت كبير أمامك لتقولة بدل الان، أختصر الحديث معة

وتقدم رودريغو من السرير وقال بهدوء:

ـ خوليو.. لاعليك أن ترد هز رأسك فقط.. الامر حول ماريان.

لقد ذهبت ياخوليو.. لقد أصبحت حرة. وأتيت لاخبرك هذا بنفسى.. ولاعوض لك ، إذا كان ممكنا، عن الاخطاء التى ارتكبتها ضدك.

وأمسك بيد خوليو:

- لقد كنت على حق ياأخى.. لم تكن لى أبدا. هل تفهم ما أقولة لك؟

وساد الصمت فى الغرفة والجميع يحدقون بالجسد المسجى فوق الفراش، ينتظرون.

ووضعت باتريسيا يدها على حنجرتها، فقد أحست فجأة بصعوبة التنفس ماريان عادت حرة... وربما ستعود إلى حبها الاول.. حرة لان تبقى معه إلى الابد

وكأنما أراد أن يرد على سؤالها الذى لم تطرحة... كذلك على كلام شقيقه، فتحرك رأس خوليو على الوسادة، بهزة رأس خفيفة ولكن مؤكدة

الحلم الجميل

ولم يلاحظ أحد باتريسيا وهى تغادر الغرفة.

وسارت ببطء إلى غرفتها، وأغلقت الباب وراءها، واستندت إليه وبدأت ترتجف.

لقد انتهى كل شىء.. حتى قبل أن يبدأ. وعليها أن تواجة هذا... ويجب أن تتصرف بإباء وعزة نفس،

إنه لايريد حبها.. فأكبر هدية له إذن أن تعطية الحرية.. دون أى ارتباطات. وكل ما عليها أن تفعل أن تقبل بالواقع... وتذهب.

عليها أيضا" أن تعرف ما إذا كان ضيوفهم سيبقون أم سيعودون إلى سالتا على الفور. الاب غوميز من المؤكد أن يكون تواقا للعودة إلى الارسالية.. ولكنها ليست متاكدة من نوايا رودريغو لاكروزا.

وتمنت أن لايرغب الضيوف في البقاء، كي تستطيع المغادرة معهم على المركب كما اقترح عليها خوليو أصلا. ومن الافضل أن تذهب وهو لايزال غير مكتمل الوعي لتوفر على نفسها الالم

وسمعت قرعا حادا" على الباب

- من الطارق؟

- لورانزو سينوريتا.. هل لي أن أدخل؟

الطبيب ؟ وخفق قلبها وقالت وهي تفتح الباب:

- هل هناك شيء خاطيء.. هل سائت حال خوليو؟

- لا.. لا. لقد وكأنك على وشك الاغماء، فقلقت عليك.

لرؤيتك. لقد بدوت وكأنك على وشك الاغماء، فقلقت عليك.

- لست من النوع الذي يفقدالوعي بسرعة.

- ولكن هذا لايفسر شحوبك ولاالظلال تحت عينيك. هل أنت واثقة أن ليس هناك شيء تحتاجين لاستشارتي بة؟

- لا.. لاشيء.. حقا".

- آة.. لقد التقينا لتونا.. وربما بعد بضعة أيام ستثقين بي. سنلتقي عند العشاء.. وأتمنى أن تكون أخبار خوليو طيبة

إذن فالحظ ليس إلى جانبها، فقد كشف العشاء أن الضيوف باقون لفترة غير معروفة، بما فيهم الاب غوميز. الذي فسر بقاءة بالرغبة في زيارة السكان المحليين..

ونظر إليها رودريغو معتذارا":

- أرجوا أن لانزعجك، ولكن أنت تفهمين ، فأنا وأخي لدينا حديث طويل بعد أن يشفي ويصبح قويا لما يكفي.

- ومتى سيكون ذلك؟

فرد الدكتور لورانزو

- في وقت أقصر مما أرجوة... فخوليو لايجب فكرة الخلود للراحة. حتى إنة تمنى لو انضم إلينا الان للعشاء

فابتسم رودوريغو:

- هذة هى المعجزات التى يفعلها الحب.

بعد انتهاء القهوة وقف الدكتور لورانزو قائلاً:

- سألقى نظرة على مريضى.. ربما تحبين مرافقتى سنيوريتا...

وكان كلامة بلهجة الامر أكثر من الطلب ، فذهبت معة على مضض.

وقال لها وهما يسيران فى الممر نحو غرفة خوليو:

- أنت لم تأكلى شيئا لقد راقبتك تقلبين الطعام فوق الصحن ، وهذا ليس بالجيد.. وخاصة الان.

- أنا.. فقط.. لم أكن جائعة.. ربما ردة فعل.

بعد صمت قصير تابع:

- ربما.. يمكنك الثقة بى.. أى شىء تقولينة سيبقى آمنا معى أعدك بهذا.

- إذن هناك شىء.. هل رأيت ماريا دى لاكروزا من قبل؟

- سى... ولماذا؟

- أود معرفة شكلها؟

- إذا كان هذا كل شىء فالامر بسيط.. لها وجة جميل وجسد رائع، شقراء، لونها برونزى ومن أميركا، وأسنان رائعة بيضاء. وماذا أقول بعد؟ إنها كنجمة سينما.. حلم كل رجل لايمكن نسيانها بسرعة

- لا.. لقد عرفت هذا.. شكراً لك

وفتح الباب وأشار إليها لتتقدمة.. ولذهولها.. وجدت خوليو يقف عند النافذة.. وكان عارى الصدر ما عدا الرباط الذى يحمل ذراعة المصاب.. فقال الدكتور لورانزو بانزعاج:

- تطلب نصيحتى ثم تتجاهلها لقد أمرتك بالراحة.

فرد علية خوليو:

- لدى ثقب فى كتفى.. ولقد ارتحت ما فيةالكفاية.. وعلى الان أن أتابع حياتى.

- عليك تغيير ثيابك.سأذهب لاعلم مارغريتا.

وخـرج الدكـتـور مـغلقـا البـاب وراءة بلطف... وسـاد الصمت.. وأحست باتريسيا بحرارة الاحراج. وأخيرا قالت :

- أنا آسفة.. لم تكن فكرتى المجىء إلى هنا

- أعلم،.. كانت فكرتى. علينا .. أن نتكلم.

- ليس ضروريا"

- أعلم إنة ضرورى.. فقد ظلمتك باتروسا

- عما نتكلم؟

- عن دودج.. الامـيـر كـانو.. لقـد ضـربك، ودفـعك من الشاحنة كان يمكن أن يقتلك.. أنطونيو كان هنا وأخبرنى كل شىء

- اوة.. لقـد كـانت غلطتى.. من الغـبـاء أن أقـرر الذهاب معة.. ولكننى كنت...

- يائسة؟

- أعـتـقـد هـذا.. كنت مـضطرة.. وكـان عليك أن تعـرف.. إننى.. وأنت.. لن ننجح مـعـا".. مـسـتـحـيـل.. لكل أنواع

الاسباب. والان كل شيء أصبح أفضل.. للجميع.

- أتظنين هذا؟ أنت ورودريغو متفائلان أكثر مني.. فانا أتوقع مشاكل كبيرة.

- ولكنك ستحصل على السعادة أخيرا" فبعيدا".. عن أي شيء لم يكن بإمكانك السعادة وأنت معزول عن عائلتك.

- صحيح.. ولكنني ما كنت أفضل مثل هذة الطريقة للعودة إليهم...

- ستخف مشاكلك كثيرا" عندما أتركك مع أنني لست أدري متى فالاب غوميز لن يعود إلى سالتا قريبا".

- لست مضطرة لانتظارة.. سيأخذك بيدرو إلى سانتياغو ديلاستيرو وسيبقى معك إلى أن تلاقي مركبا.

- اوبريغادا.. شكرا".. أنت لطيف جدا"

- لا.. فكلانا يعرف الحقيقة «كويرادا» وسوف أبقى ألعن نفسي لما تبقى من حياتي للطريقة التي عاملتك بها.. لقد أملت أن أعوض عليك ، أن أعلمك بأن بإمكاني أن أكون لطيفا.. ولكنني أرى الان أن الامر كله كان غباء

ـ لا.. لايهم الامر بعد الان

ـ ولكنة مـهم لى باتروسـا .. ولن أحـتمل أن تذهبى من هنا وأنت تكرهينى.

ـ أنا لا أكرهك.. لن أستطيع كرهك أبدا.

ومد يدة إليها..

ـ تعالى إلى قربى للحظات.. بيرفاقور.

وتقدمت منة ببطء.. وصوت من داخلها يصيح بها.. لايجب أن تفـعلى هذا .. ولكن يا إلهى العـزيز، الايمكن أن أمنع نفسى... ؟

ونظرت إلية بحزن.. وقالت:

ـ يجب أن أذهب.. الدكتور لورانزو سيعود إلى هنا قريبا وأنت بحاجة للراحة...

ـ أمـامى مـا تبقى من حيـاتى لارتـاح، ولكن ليس أمـامى سوى ساعات أمضيها معك «كارينا»... لقد قلت أشياء قاسية لك بالامس.. وأنا نادم عليـها واريد أعيـد هذة لك الان. دون

شروط.. إنها لك ،، فافعلى بها ما تشائين.

ولمعت الالماسة فى ضوء القنديل وهو يثبتها حول رقبتها وحاولت انتزاعها:

- لا خوليو.. لا. لاأستطيع أخذها.. وخاصة الان يجب أن تحتفظ بها.. لشخص آخر.

- لا.. الالماسة لك.. وستبقى دائما.

ومرر أصابع ذراعة السليمة على رقبتها ثم رفع ذقنها إليه ولمس فمها المصاب:

- ذلك الحيوان فعل بك هذا؟

وهزت رأسها بصمت، وقد تسمرت فى مكانها لقربة منها، وتلفظ بكلمة سريعة متوحشة ثم قال:

- هل تؤلمك؟

- أحيانا...

- عندما قبلتنى ليلة أمس مثلا؟ فتصاعد دم الخجل إلى وجهها:

ـ قليلا.. أجل.

ـ أيتها المسكنية وهل سأسبب لك الالم الان لو قبلتك قبلة الوداع؟

وفكرت بألم.. أجل.. ولكن ليس بسبب الضربة. وحاولت!

لا تفعل.. أرجوك.

ولكنك قلت لى أنك لا تكرهنى.

لا أكرهك.. صدقينى.. ولكن هذا لا يعطيك الحق فى تقبيلى. فانت ملك لإمرأة أخرى.. فدعنى أذهب.. أرجوك.

أنا ملك لك.. ولكنك لا تريدينى.

وبدأت عليه المرارة.. فصاحت دون تفكير:

هذا ليس صحيحاً.

ما الأمر إذن؟ هل هو المكان؟ لا يجب علينا أن نعيش فيه، إذا كانت لا تحبينه.. فلدى أملاك غيره، ليست بعيدة عن المدنية وبإمكانك أن تختارى كواريدا .. ولكن لا تتركينى.

وماذا على أن أفعل؟ هل أشارك ماريان بك؟ لا أستطيع

ولن أفعل.

ماريان؟ وما دخل بنت العاهرة بنا؟

أنت تحبها. كنت مغرماً بها إلى أن تزوجت رودريغو.. وهل تعلمين لماذا تزوجته؟ لأنها ظنت إنه أكبر أولاد العائلة وسيرث كل الأملاك والأموال.

ألهذا تخلت عنك؟ لابد أنك مخطئ. لا يمكن أن تفعل هذا.

لقد قالت لى ذلك بفمها. وأعلنت عن أسفها إنما بما أن رودريغو هو الأكبر فهو «اللقطة» الأفضل. مع إنه لن يكون الزوج المثير لها.

ولكن لو كانت تحبك...

الحب لا شأن له هنا. فهناك أمران فى حياة ماريان المتعة.. والمال. وهى مستعدة لإستخدام المتعة فى سبيل الحصول على المال. لكن الجشع ضللها.. فعندما مات أبى ترك كل شئ مقسماً بينى وبين رودريغو وشقيقتنا. كما هى العادات. وكانت صدمة كبيرة لها، لتكشف انها ضحت بنفسها لرجل لا تريده دون أى مقابل.

ألم تحذرها أن الأمور ستكون هكذا؟ •

بالطبع لا.. لم تكن تستاهل، ومرتزقة، وتستحق السخرية. لقد حاولت تحذير رودريغو.. ولكنه كان مجنونا بحبها ورفض أن يستمع. لقد كان دائماً ضعيفاً وخجولاً مع النساء، ولا خبرة له... ولقد عصفت به ماريان وأطارت له عقله.

ولكنها أطارت عقلك أيضاً. لقد قلت لى هذا بنفسك.

وحرك كتفه المصاب بقلق:

فى الماضى أجل.. أعترف.. أنها إمرأة مثيرة. ولكننى فيما بعد رأيت كل عيوبها وحل مكان الإثارة، الإزدراء.

ولكنك لا زلت تريدها؟

وما يجعلك تقولين هذا؟ ما هى القصص التى سمعتيها؟

فأحمر وجهها لحدة كلماته وقالت:

سمعت أنك حتى وهى متزوجة من أخيك، كنت تريدها.. وهو اكتشف الأمر. وشاهدكما معاً.

آه أجل.. هذا صحيح ولكن ليس أكثر. فعودتنا معاً

كعاشقين كان فكرتها.. كنت قد تركت المنزل لمدة، ولكن كان على العودة لأناقش أمر وصية والدى.. فدخلت إلى غرفتى وعرضت نفسها. وكانت قد سئمت من رودريغو.. وعندما رفضت نعتتنى بأبشع النعوت، ثم مزقت ثيابها وأخذت تصرخ. فدخل رودريغو ووالدتى، فقالت إننى أغويتها لنكون لوحدنا ثم حاولت اغتصابها.

وتأوه قليلاً.. ثم تابع:

وجن جنون رودريغو من الغيرة والغضب، وحاولت التفاهم معه، ولكن دون جدوى.. ولذا عدت إلى هنا وأنا أعلم أنه يوماً ما سوف يكتشف حقيقتها، وها هى قد تركته الآن، وهربت مع رجل آخر. مليونير بترول، كما عرفت وأتمنى له الحظ السعيد معها.

ولكنك قلت أنك التقيت بالمرأة التى ستحبها طوال حياتك، ولكنها لا تريدك.

لم أكن أتكلم عنها «كارينا».. كنت أعنيك أنت.

وزمسك وجهها بيده فقالت باضطراب:

لا.. لا يمكن هذا.

ولماذا لا؟

وجهه.. صوته.. كانا صارمان.

ألن تصدقى بأننى وجدت الحب الحقيقى؟ ولأننى ارتكبت غلطة مع ماريان يجب أن أدان بالوحدة إلى الأبد؟

ولكنك لا تحبنى.. لا يمكن.. حتى أننى لست جميلة.

بل أنت جميلة.. لقد أدخلت اللطف والرحمة إلى بيتى وإلى حياتى.

ولكنك لا تعرفنى

وهز خوليو رأسه:

أتظنين أن الحب لا يمكن أن يحصل فى وقت قصير؟ أنت مخطئة «كارينا».. أظن أننى أعرفك منذ وقت طويل. وانتظريك منذ وقت طويل. وكنت آمل أن تشعرى يوماً ما بنفس مشاعرى. ولكننى أظن الأمر مستحيل.. فقد حدثت أشياء لا يمكنك الثقة بى بعدها. ولا ألومك.. على كل أنت لم تتظاهرى

أبداً بشئ من الأهتمام تجاهي. ولك حياتك فى بلادك.

ونظرت إليه بحزن، وقلبها يكاد يقفز من عينيها

إن لى وجود وكينونة.

ماذا تحاولين القول؟

أقول.. إنه بالحب يمكن لكل شئ أن يكون ممكناً.. حتى فى وقت قصير.

فقال بصوت كله حنان.

هل تحبينى حقاً؟

وجنت نبضات قلبها ورفعت رأسها إليه:

أكثر من حياتى.. أريد البقاء معك خوليو.. أريد أن أكون زوجتك.

لطالما حلمت بهذا.. وبسماعك تقولين هذه الكلمات.. ليلة بعد ليلة فى هذا الفراش الملعون.. لوحدى، قولى لى أننى لست أحلم الآن.

ولأول مرة بدا دون دفاع، ومعرض للعطب، وخفق قلبها

بحنان جوابى وابتهاج. ودخلت دائرة ذراعه المصابة.. ورفعت له وجهها.. وسألته بلطف:

وهل سيقنعك هذا؟

وتلامست شفتاهما.. ولم يعودا يستطيعان الكلام.. وعندما ابتعدا، مسح خوليو شعرها، وهو يضحك باضطراب.

عروستي.. حبى.. كيف قاومتنى؟

كنت أقاوم نفسى.. كما أظن.

وهل حل السلام بيننا الآن؟

وابتسمت له، بحب، وقالت مداعبة:

اوه.. ستكون هناك معارك قادمة... دون شك.. فأنت مستبد بما فيه الكفاية.

ومع ذلك فأنت مستعدة للمخاطرة معى؟

سأخاطر بأى شئ.

وأراحت وجهها على صدره، وهى تعلم أن كل الأمان والسلامة التى يمكن للدنيا أن توفرها لها موجودة بين ذراعيه

وهمست:

كل يوم مغامرة جديدة.

ومدت رأسها لتقبله من جديد تبتسم له وتفكر بالطفل. أول مغامرة رائعة لهما فى حياتهما معاً قد بدأت.

وبرزت السعادة فى صوتها.

حبيبى... هناك شئ أريد أن أخبرك به...

